في رحاب القرآن



سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي

في رحاب القرآن

المرجع الديني آية الله العظمى

السيد محمد تقي المدرسي

في رحاب القرآن
المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمدتقي المدرسي
الناشر: انتشارات محبان الحسين (ع)
الطبعة الثالثة - ١٤٢٨هـ - ٢٠٠٧م
العنوان: قم المقدسة - شارع انقلاب - فرع ٤٧ - رقم ٥
ISBN : 964 - 7373 - 01 - 5

بسم الله الرحمن الرحيم

مقدمة الطبعة الأولى

الحمد لله رب العالمين والصلاة والسلام على خير خلق الله أجمعين محمد وآله الطيبين الطاهرين.

منذ اللحظة الأولى لولادة البشرية بخلق الله تعالى أبونا آدم عليه السلام، وإلى آخر لحظة من حياة البشرية، لم يحض الإنسان بكتاب أشرف وأفضل من القرآن الكريم، وأنه قمة الكتب التي قرأها ويقرأها الإنسان.

إنه كتاب الله، وخاتم الرسالات السماوية، وقد جعله الله تفصيلاً لكل شيء، ولم يخصصه لجماعة دون غيرها، بل جعله كتاب الجميع، ميسراً لهم ذكره.

ومن عظمة القرآن أنه لم يكن كتاب علم خاص، أو موضوع محدد، بل هو كتاب الإنسان والمجتمع والحضارة، وهو كتاب التشريع والحكم، وهو كتاب الاقتصاد والسياسة، وهو كتاب العقائد والاخلاق..وبكلمة أنه كتاب الحياة.

وأكثر من ذلك إن آياته البينات لم تحددها معاني الكلمات، ولم تؤطرها عقول العباقرة.. بل هي كالشمس تشرق كل يوم لتلبس الكون حلة جديدة من أشعتها الذهبية. فكل مرة تقرأ القرآن تلمس فيه معاني جديدة، وتكتشف آفاقاً لم تكن قد خطرت على بالك من قبل.

إنه كتاب حي لا يجرء الموت الاقتراب منه، لأنه كتاب الحي القيوم الذي لا تأخذه سنة ولا نوم.

من هنا يتأكد علينا أن نعي قيمة القرآن الكريم، ونعظم قدره في واقعنا، ونهتم به ونستفيد منه في صياغة شخصياتنا وبناء امتنا على غرار مناهجه وتوصياته.

ويجدر بنا أن لا نتوانى في هذا الطريق، لأنه يضمن لنا الحياة الطيبة في الدنيا والنجاة من النار والفوز بالجنة في الآخرة.

هذه الحقائق وغيرها فيما يتعلق بالقرآن الكريم، وجدناها في مجموعة من محاضرات سماحة المرجع الديني آية الله العظمى السيد محمد تقي المدرسي حفظه الله، والتي سجلها للبث التلفزيوني في جمهورية إيران الإسلامية. ونظراً لأهميتها، ورجاءاً في تعميم فائدتها، عمدنا إلى إعدادها في كتاب سميناه (في رحاب القرآن) راجين من الله تعالى أن يتقبله منا بقبول حسن إنه ولي التوفيق.

القسم الثقافي
في مكتب المرجع الديني آية الله العظمى
السيد محمد تقي المدرسي
٥/رمضان/١٤٢١هـ

القرآن في الحديث

قال رسول الله صل الله عليه وآله: (فضل القرآن على سائر الكلام كفضل الله على خلقه)[١].

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (أفضل الذكر القرآن به تشرح الصدور، وتستنير السرائر)[٢].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (لا يعذب الله قلباً وعى القرآن)[٣].

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (الله الله في القرآن، لا يسبقكم بالعمل به غيركم)[٤].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (من أراد علم الأولين والآخرين فليقرأ القرآن)[٥].

---

(١) بحار الانوار، ج٨٩، ص١٩.

(٢) ميزان الحكمة، ج٨، ص٦٧

(٣) تفسير البرهان، ج١، ص٧.

(٤) نهج البلاغة، كتاب ٤٧

(٥) ميزان الحكمة، ج٨، ص٧٣

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (وتعلموا القرآن فإنه أحسن الحديث، وتفقهوا فيه فإنه ربيع القلوب واستشفوا بنوره فإنه شفاء الصدور، وأحسنوا تلاوته فإنه أنفع القصص)[٦].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (خياركم من تعلم القرآن وعلمه)[٧].

قال الإمام الصادق عليه السلام: (ينبغي للمؤمن أن لا يموت حتى يتعلم القرآن أو أن يكون في تعلمه)[٨].

قال أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام: (لقاح الإيمان تلاوة القرآن)[٩].

قال الإمام الحسن بن علي عليه السلام: (من قرأ القرآن كانت له دعوة مجابة إما معجلة وإما مؤجلة)[١٠].

قال الإمام الصادق عليه السلام: (ثلاثة يشكون إلى الله عز وجل مسجد خراب لا يصلي فيه أهله، وعالم بين جهال، ومصحف معلق قد وقع عليه الغبار لا يقرأ فيه)[١١].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إن أردتم عيش السعداء وموت الشهداء، والنجاة يوم الحسرة، والظل يوم

---

(٦) نهج البلاغة، خطبة رقم ١١٠.

(٧) بحار الأنوار، ج٨٩، ص١٩.

(٨) موسوعة الفقه، ج٩٨، ص١٨٦

(٩) ميزان الحكمة، ج٨، ص٨١.

(١٠) بحار الأنوار، ج٨٩، ص٢٠٤.

(١١) موسوعة الفقه، ج٩٨، ص٢١٢.

الحرور، والهدى يوم الضلالة، فادرسوا القرآن، فإنه كلام الرحمان، وحرز من الشيطان ورجحان في الميزان)[١٢].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ألا من تعلم القرآن وعلّمه وعمل بما فيه فأنا له سائق إلى الجنة، ودليل إلى الجنة)[١٣].

قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (ما من رجل علّم ولده القرآن إلا توج الله أبويه يوم القيامة بتاج الملك، وكسيا حلتين لم ير الناس مثلهما) [١٤].

---

(١٢) ميزان الحكمة، ج٨، ص٧٤.

(١٣) ميزان الحكمة، ج٨، ص٧٥.

(١٤) موسوعة الفقه، ج٩٨، ص١٨٧.

الفصل الأول

آفاق قرآنية

نحن والقرآن

﴿ وَيَوْمَ يَعَضُّ ٱلظَّالِمُ عَلَىٰ يَدَيْهِ يَقُولُ يَـٰلَيْتَنِى ٱتَّخَذْتُ مَعَ ٱلرَّسُولِ سَبِيلًا ۝ يَـٰوَيْلَتَىٰ لَيْتَنِى لَمْ أَتَّخِذْ فُلَانًا خَلِيلًا ۝ لَّقَدْ أَضَلَّنِى عَنِ ٱلذِّكْرِ بَعْدَ إِذْ جَآءَنِى ۗ وَكَانَ ٱلشَّيْطَـٰنُ لِلْإِنسَـٰنِ خَذُولًا ۝ وَقَالَ ٱلرَّسُولُ يَـٰرَبِّ إِنَّ قَوْمِى ٱتَّخَذُوا۟ هَـٰذَا ٱلْقُرْءَانَ مَهْجُورًا ۝ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِىٍّ عَدُوًّا مِّنَ ٱلْمُجْرِمِينَ ۗ وَكَفَىٰ بِرَبِّكَ هَادِيًا وَنَصِيرًا ۝ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُوا۟ لَوْلَا نُزِّلَ عَلَيْهِ ٱلْقُرْءَانُ جُمْلَةً وَٰحِدَةً ۚ كَذَٰلِكَ لِنُثَبِّتَ بِهِۦ فُؤَادَكَ ۖ وَرَتَّلْنَـٰهُ تَرْتِيلًا ﴾(١٥)

في عصر العولمة، حيث تقترب المسافات وتتهاوى الحواجز ويتحول العالم إلى قرية صغيرة ويتقدم العلم في عصر كهذا هل نحتاج -نحن- بعد الى القرآن الكريم؟ ولماذا؟ وأين موقع القرآن في هذا العصر؟ وهل إذا ما تمسكنا بكتاب الله فاتنا قطار التقدم وأصبحنا خارج دائرة الزمن؟!

إن الجواب على جميع هذه الأسئلة يعود إلى حقيقة نظرة الإنسان إلى الإنسان، لأننا إذا عرفنا حقيقة هذا المخلوق سهل

---

(١٥) الفرقان: ٢٧ - ٣٢

علينا حل معظم المشاكل العالقة، أو على الأقل يتيسر لنا معرفة حلول الأزمات الراهنة.

فيا ترى ما هو الإنسان؟ هل هو شهوات ومخاوف وشكوك أم هو أبعد من ذلك؟ وقبل كل شيء؛ ترى من له الحق الأول في تعريف شخصية ووجود الإنسان؟

إنه الخالق دون شك؛ إذ هو الأعرف بمن وبما خلق، لا سواه. فهو -الخالق- القائل بأنه قد خلق الإنسان في أحسن تقويم، وأنه قد كرّمه على سائر مخلوقاته، وعليه ينبغي أن ننظر إلى هذا المخلوق نظرة ملؤها الإحترام، لأنه صنيعة اللّه رب الوجود.

فالإنسان أبعد من أن يكون مجرد شهوة أو مخاوف أو شكوك، ولو كان كذلك لما ثار الثائرون، ولما سقطت عروش الطغاة.

وهذا الإنسان - ذوو الهيمنة والسلطان - الذي يحاول النيل من مكانته، هو الذي نفط فيه اللّه من روحه وأسجد له الملائكة، فكانت تلك النفخة عبارة عن القيم التي صنعت الحضارات.

واليوم حيث تتراكم في العالم الثروات والشهوات، يحاول رجال السلطة وفي بلدان معدودة إزاحة الإنسان من طريقهم لتحقيق مصالحهم، في هذا اليوم يكون الإنسان أشد حاجة إلى القيم والروح والنفحة الإلهية.

ففي عصر العولمة والإعلام والمال والصواريط والذرة... نحن بحاجة إلى ذلك الإنسان المتوكل على اللّه، المعتصم بحبله.

إلى الإنسان الذي يصرخ بوجه الكفر والإرهاب والإستعباد قائلاً: لا إله إلا الله.

لقد تحدى المجاهدون طغيان القوة والحقد بإيمانهم وروحهم التي أودعها الله فيهم، وتحدوهم بقرآنهم، تماماً كما تحدى الإمام الحسين عليه السلام الطغيان الأموي العتيد بالقرآن وبالرسول وبالإيمان.

وبالأمس القريب رأينا فتية لبنان المجاهدين قد طردوا عدوهم الصهيوني من أراضيهم؛ ليس بإمكاناتهم أو قوتهم أو إعلامهم قد طردوهم، وإنما بالإيمان والروح والقرآن.

كذلك الإنسان الفلسطيني حينما أعلن جهاده المشبع بروح القرآن ضد الغاصبين الصهاينة، وهو لا يملك القوة أو الدعم العالمي، تجد الصهاينة اليوم لا يسعهم مواجهته رغم ما يملكون من وسائل قمع وتنكيل، وهذا يعني أن وراء هذه المقاومة روحاً، وأن الذي يحكم هو الله ﴿ هُنَالِكَ ٱلْوَلَٰيَةُ لِلَّهِ ٱلْحَقِّ ﴾ وسيخسر المبطلون أينما كانوا.

بالأمس كان الرجل يعطي المال، وهو مال المسلمين، لهذا أو ذاك من المرتزقة والأفاكين ليبتدعوا له الأحاديث وفق رغبته وتبعاً لمصلحته، فينشرها بين المسلمين عبر المنابر، لكن اليوم تغيرت الوسائل وتكاثر جمع المضلّين، فهناك الإنترنت والوسائل الخبيثة والأساليب الماكرة والمغرية؛ في هذا اليوم يحتاج الإنسان إلى القرآن الكريم وهدي النبي وأهل بيته عليهم السلام.

وإن مثل هذه الحاجة الماسة يمكن تأمينها عبر الوسائل التالية:

الاولى: بناء القواعد الفكرية للجيل الجديد في مجتمعنا المسلم على أساس القرآن، لنضمن له مستقبلاً قرآنياً طاهراً، وذلك بدءاً من نعومة أظفار هذا الجيل، عبر تحفيظ الأطفال الآيات الكريمة وشرحها لهم بالطريقة العلمية المناسبة. وهذا الأمر بحاجة إلى مؤسسات أو معاهد وروضات خاصة، أو أي شيء من هذا القبيل، ليكون عقل الطفل المسلم مستأنساً بكلام الله.

الثانية: إقناع مؤسسات التربية في بلداننا على أن تجعل القرآن وعلومه محوراً لمناهجها الدراسية. وذلك لمواجهة ودحض الأفكار الجاهلية التي دسها الغربيون وأعداء الدين في العقل المسلم.

الثالثة: عودة الحوزات العلمية إلى محورية القرآن الكريم في دراساتها ومناهجها، ونبذ الإهتمام بفلسفة ارسطو وأفلاطون وابن عربي التي لا نجد لها أية علاقة بكلام خالقنا. إذ أن هذه الفلسفة وغيرها عاجزة عن منح الحياة للإنسان، على العكس من حكمة القرآن وعلمه. وعلى هذا يتأكد على رجال الحوزات العلمية أن يأخذوا فقههم وتاريخهم وحكمتهم من القرآن، لأن الله قد أكد لنا أن فيه تبيان لكل شيء. ولذا فإن عليهم صرف جهودهم كلها لتوطيد العلاقة وتعميم الإستفادة من القرآن، بل يجب أن يكون هدفهم الأول في هذا المجال هو تخريج جيل مؤمن عالم بالقرآن، ثم يؤكدوا عليه

بذل كل جهوده لنشر هذا العلم المقدس في صفوف المجتمع، حتى يكون الناس قرآنيين في عقائدهم وتقاليدهم وعاداتهم وأعمالهم، لئلا يكون هذا القرآن مهجوراً كما هو عليه الآن، حيث نرى الجاهلية القديمة والجاهلية الحديثة قد تظافرتا للقضاء نهائياً على ما تبقى من حس قرآني بين الناس.

❁ ❁ ❁

القرآن كتاب الجميع

﴿الٓر كِتَٰبٌ أُحْكِمَتْ ءَايَٰتُهُۥ ثُمَّ فُصِّلَتْ مِن لَّدُنْ حَكِيمٍ خَبِيرٍ﴾ (١٦)

على الرغم من تطور البشرية عبر العصور على صعيد العلم والادراك والوعي وغير ذلك، إلا أن القرآن الكريم قد أنزله الله تبارك وتعالى لكل الناس وفي كل العصور. وهذه الحقيقة الساطعة تعتبر معجزة من معاجز القرآن الكبرى، حيث أن من طبيعته مخاطبة كل إنسان، مهما تفاوت مستوى استيعابه واختلف زمانه، لأن القرآن كتاب فيه ظاهر وباطن، ولباطنه بطون وكلما تضاعف علم المرء ومعرفته، كلما تعمق في القرآن أكثر.

ففي الوقت الذي يفهم الإنسان الساذج البسيط من النص القرآني شيئاً ومعنىً معيناً، نجد العالم والمثقف يفهم شيئاً

---

(١٦) هود/١.

مضافاً إلى ذلك وهكذا تتفاوت درجات الاستنباط حسب مستويات الناس، بل حتى لو كان الإنسان عالماً، أو كان في مستوى الإمام الرضا عليه السلام، وهو عالم آل محمد، وهو الذي علمه من علم الله سبحانه وتعالى؛ حتى لو كان كذلك، فإن الله يفتح له كل يوم باباً من علوم القرآن. وهذا المعنى قد صرح به الإمام الرضا عليه السلام نفسه في حديث شريف له.

إن القرآن الكريم الذي فيه المحكم والمتشابه ، يتحول متشابهه إلى محكم بالنسبة لمن توصل إليه، وما لم يتوصل إليه يظل متشابهاً بالنسبة له أيضاً.

ولهذا كانت قاعدة العمل بالمحكم والتسليم للمتشابه قاعدة مهمة للغاية في إطار التعامل مع القرآن، إذ أن المتتبع للآيات القرآنية كلما عمل بالمحكم وسار فيه شوطاً، كلما أحكم له المتشابه، وتيسر له فهمه ووعيه، أي أن كتاب الله يوضح نفسه بنفسه.

ومن هذه الزاوية، كان القرآن كتاباً لكل الناس ولكل العصور والدهور، وكل فرد منهم يستفيد منه حسب مستواه وموقعه؛ تماماً كما الغيث ينزل من السماء، حيث تسيل منه الأودية بقدرها، فالوادي الواحد يستوعب بقدره هو لا بقدر الغيث، الذي يستطيع استيعاب كل الامكنة.

ولما كان القرآن الكريم كتاباً ذا مرونة فائقة، فإنه قد سلب من الإنسان أعذاره الواهية التي قد يرفع عقيرته بها فيهجر القرآن بداعي عدم فهمه له مثلاً، أو إيكال ذلك للعلماء والمفسرين والنخبة من المثقفين فقط.

كلا.. فالقرآن كتاب الجميع، نازل من عند خالق الجميع. ويبقى من لم يفهم هذا النص القرآني أو ذاك ملزماً بإرجاعه إلى أهل الذكر من العلماء والمختصين فهم وكلاء الله على شرح كتابه للآخرين. وهذا الأسلوب يمثل منهجاً رائعاً قد أمر به القرآن قبل غيره، لأنه كفيل بحفظ منزلته الربانية من جهة، وكفيل أيضاً بتعميم الفائدة على الجميع من جهة أخرى فيكون عبر ذلك كما النهر، يغرف الناس منه حسب حاجاتهم ومقدار ما يستوعبونه، دون أن يعني أن ذلك النهر يمكن اختصاره في إنسان واحد منهم، ودون أن يعني أن هذا الإنسان غير قادر على الاستفادة من النهر شيئاً.

❁ ❁ ❁

القرآن منهاج عمل

بمجرد أن يشتري الإنسان بضاعة معينة أو ماكنة ما فإنه يطالب ويبحث عن كتاب يشرح له بالتفصيل الكافي كيفية الاستفادة أو تشغيل هذه الماكنة والمحافظة عليها.

أمّا الله العليم الحكيم حينما خلق الوجود والحياة فقد أرسل للناس كتاباً مباركاً، علمهم فيه كيفية التعامل مع الوجود والحياة، وشرح لهم فيه سنن الحياة وسبل السلام فيها، وقد سمّى هذا الكتاب بالقرآن.

فالقرآن هو كتاب الله المكتوب والمقروء، والخليقة كلها عبارة عن كتاب الله المخلوق والكتابان ينطبقان على بعضهما كامل الإنطباق.

فمن أراد معرفة الحياة والطبيعة، يجدر به أن يقرأ القرآن ويستضيء به.

أما الذين يقرؤون القرآن وراء الأبواب المغلقة، دونما النظر إلى ما يحيط بهم، فإنهم عاجزون عن الاستفادة من هذا القرآن.

والذين يخوضون في الطبيعة والحياة لمعرفتها وفهمها من دون كتاب وهدىً ودليل وبصيرة قرآنية، فهم بدورهم لن يعرفوها.

إنما يعرف الحياة من يقرأها ويمارسها ويعايشها ضمن كتاب الله الذي لا يضل ولا ينسى، كتاب فيه تفصيل كل شيء بما للكلمة من معنىً.

فإذا أراد الإنسان أن يعيش في الحياة بنور، فليستنر بالقرآن، ولينظر ما هو قائل له، فإن فيه الشرح الوافي لطبيعة الإنسان والمجتمع وتطورات الحياة، وفيه الإجابات الوافية عن نواميس الكون والهدف من خلقته، وفيه أيضاً الإجابة عن السر وراء تطورات الأمم والحضارات وعلل دمارها.. كل ذلك يجده الإنسان في القرآن، وما عليه -والحال هذه- إلاّ أن يطبق الآيات تطبيقاً صحيحاً على الطبيعة.

ولا يغيب عنا أن القرآن كما الشمس تشرق كل يوم من جديد. لذا نجد إن القرآن لم ينزل على إنسان دون غيره، أو أمة دون سواها، بل أنزله الله للبشرية كافة، وهو يجري فيمن يأتي كما جرى فيمن مضى.

فلنقرأ القرآن ولنطبّق آياته على أنفسنا وعلى الناس والحوادث والمشاكل والحالات النفسية، حتى نعرف القرآن بشكل أفضل، وحتى نعرف الحياة بصورة أدق.

وقراءة القرآن دونما تطبيق، أو ممارسة الحياة دونما قرآن، ليس إلا هجراً للقرآن، وليس إلا تضييعاً للحياة.

❁ ❁ ❁

القرآن كتاب حكمة

من صفات القرآن الكريم انه كتاب حكمة، ولذلك جاءت تسميته بـ (القرآن الحكيم)، لأن فيه حكمة الحياة.

فالإنسان الذي يريد أن يضمن السعادة في الدنيا والآخرة لابد ان يتمتع بالحكمة؛ أي أن يعرف كيف يعيش ومن أين جاء وإلى أين يذهب وما هي سنن الحياة التي تعني القوانين والأنظمة التي وضعها الله تبارك وتعالى لهذه الحياة والتي من خلالها يستطيع الإنسان أن يعيش الحياة الطيبة. ولذلك فقد أوضح القرآن الحكيم سنن الحياة، وهي الحقائق الكبرى التي ليس من السهل على الإنسان أن يستوعبها، لأن عقله وفكره محدودان. ثم أن جميع الناس ليسوا على مستوى واحد من الوعي والفهم، بل هم على درجات ومستويات مختلفة لذلك فإن من العجيب أن كل الناس -على اختلاف مستوياتهم الفكرية- ينتفعون من القرآن كل حسب مستواه.

فتجد في القمة رسول الله صلى الله عليه وآله والأئمة المعصومين عليهم السلام يقرؤون القرآن، ويزدادون بقراءته علماً، بينما أبسط الناس أيضاً ينتفع بتلاوته للقرآن بحدود فهمه البسيط.

والسّر في تلك الشمولية، فالأمثال التي يكثر ذكرها في القرآن، والتي تقوم بدور الوسيط بين الحقائق الكبرى والحقائق الجزئية، أي إنها تكون جسراً بين الإنسان وبين الحقائق ولذلك فلابد لمن يقرأ القرآن ويتدبر في آياته أن يتأمل تلك الأمثال، ثم يطبقها على الحقائق المتعلقة بها.

ولا يغيب عنا أن الامثال تقوم بدور ايضاح الحقيقة، وتقريبها للفهم، وبالتالي عدم نسيانها.

ومن خلال فهم الأمثلة القرآنية، وفهم الحقائق المتصلة بها يستطيع الإنسان ان يكون حكيماً. ﴿يُؤْتِي الْحِكْمَةَ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُؤْتَ الْحِكْمَةَ فَقَدْ أُوتِيَ خَيْرًا كَثِيرًا﴾ (١٧)

❁ ❁ ❁

القرآن سبيل الهداية

﴿قَدْ جَاءَكُمْ بَصَائِرُ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا وَمَا أَنَا عَلَيْكُمْ بِحَفِيظٍ﴾ (١٨)

يبدأ ابن آدم حياته عديم التجربة، ويعيش فيها ظلمات الجهل والغفلة، إذ العمر قصير وغيب الحياة أكثر من شهودها فهي مزيج معقّد قائم على أسس لا يعرف المرء الكثير منها.

---

(١٧) البقرة/ ٢٦٩.

(١٨) الانعام/ ١٠٤.

ووفقاً لذلك، أصبح ابن آدم بحاجة إلى من يهديه إلى سنن الحياة وطبيعتها وأنظمتها التي تتحكم فيه وفي الخلائق من حوله، وبحاجة أيضاً إلى من يعلمه كيفية التعامل مع النفس والمحيط والآخرين.

أن القرآن هو ذلك الهدى والمعلم والنور والبصيرة ومنهج التفكير السليم، وهو المعرفة والحقيقة. صحيح أن الناس ومن دون استثارة عقولهم، ومن دون بلورة وجدانهم ، ومن دون أدائهم ميثاقهم، وبالتالي من دون تفعيل اجهزة الرؤية والمعرفة في انفسهم، يعجزون عن الاستفادة من القرآن ولكن الصحيح أيضاً ان من دون القرآن وهداه وبصائره وعلمه وتذكرته وتزكيته، عاجزون عن الاهتداء سبيلاً.

يقول الكتاب المجيد : ﴿قَدْ جَاءَكُم بَصَائِرُ مِن رَّبِّكُمْ﴾ أي ما يعرف ابن آدم كيفية الحياة السعيدة وكيفية العيش بسلام وأمن، لتحقيق التطلعات والطموحات.

فالبصيرة هي ما يبصر به الإنسان، وما به يعبر إلى الحقيقة.

﴿فَمَنْ أَبْصَرَ فَلِنَفْسِهِ﴾ إن هذه البصائر ليست مفروضة عليك، وإنما هي فرصة لك فإذا اردتها استطعت الاستفادة منها، واعتمادها منهجاً لحياتك.

إذن ؛ فهي كلها فائدة للإنسان ذاته قبل غيره.

﴿وَمَنْ عَمِيَ فَعَلَيْهَا﴾ إذ النتائج العكسية سوف تترتب على من اعرض عن البصر والبصيرة ثم إن الله أورسوله ليسا مسؤولين عما يختاره الإنسان لنفسه، وإنما المسؤول الأول

والأخير هو الإنسان نفسه، حيث يقول تعالى: ﴿وَمَآ أَنَا۠ عَلَيۡكُم بِحَفِيظٖ﴾.

فهذا القرآن وهذه بصائره ومعارفه متاحة للناس في كل وقت وفي كل مكان لينتهجوا مناهجه، ويستفيدوا من رؤاه وليكشفوا بها غيب الحياة، ويصلوا إلى السعادة في دنياهم وآخرتهم وليس عليهم من وكيل فيما يختارونه.

❁ ❁ ❁

القرآن يهدي للتي هي أقوم

﴿إِنَّ هَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانَ يَهۡدِي لِلَّتِي هِيَ أَقۡوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلۡمُؤۡمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعۡمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمۡ أَجۡرٗا كَبِيرٗا﴾ (١٩)

من يعش في الظلام يعجز عن أن يحلم بالنور، ومن يضطر نفسه إلى العيش في الحفر فإنه لا يفهم أي معنىً للقمم.

إن هذه الحياة التي نعيشها ليست هي الحياة الحقيقية، إذ الحياة التي أراد الله لنا أطيب بكثير وأسمى بكثير، ولكننا تعودنا على الاستمرار في هذا العذاب، واستطبنا الظلام والعيش في المآسي والآلام.

لقد بشرنا الله سبحانه وتعالى بحياة فاضلة وكريمة، حياة ملؤها الخير والمعروف والأمل والرحمة والبركة... فيا ترى أين

(١٩) الاسراء/ ٩.

تلك الحياة، وما هي الفاصلة التي تبعدنا عنها، وكيف نقطع ونلغي هذه الفاصلة؟

قبل كل شيء لابد من معرفة أن الله تبارك اسمه قد خلق الناس ليرحمهم، وليعيشوا سعداء في الدنيا فائزين في الآخرة. وما هذا الفساد الذي نجده قد ملأ الأرض بالتأكيد ليس من الله عز وجل، إذ أن الله الخالق قد قال عن نفسه: ﴿وَمَا رَبُّكَ بِظَلَّٰمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾ كما قال أيضاً: ﴿ظَهَرَ ٱلْفَسَادُ فِي ٱلْبَرِّ وَٱلْبَحْرِ بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي ٱلنَّاسِ﴾ فهذا الفساد العريض المستشري في كل بعد من أبعاد حياتنا، إنما هو بسبب انحرافنا وابتعادنا عن جادة الحق وعن الصراط المستقيم الذي هو طريق الله تعالى.

وليس أمامنا -في إطار العودة الى ذلك الطريق الحق- سوى الاهتداء بهدي القرآن الكريم، الذي هو الحبل المتصل بين السماء والارض، وهو الوسيلة بين خالق السماوات والأرض رب العالمين وبين عباده المخلوقين.

إن الاصل في مشاكلنا وأزماتنا يتلخص في أمرين أساسيين: هما الانحراف الفكري، والانحراف السلوكي والقرآن الكريم إنما أنزله الخالق تعالى، ليعالج هذين الانحرافين الأخطرين.

أما الانحراف والضلالة الفكرية فيعالجه الكتاب الكريم بنوره وهداه وحكمته وضيائه، إذ هو الفرقان الذي يمكن به التمييز بين الحق والباطل.

إننا اليوم نتعرض لهجمات ثقافية شرسة متنوعة، حيث لا نكاد نتخلص من هجمة شيطانية إلاّ وتواجهنا هجمات جديدة

أخرى ونحن بين هذه وتلك نتعرض للأمواج المتلاحقة من الإعلام الغربي المادي؛ الإعلام الذي يهدف قطع جذورنا وتحويلنا عبيداً لأصحاب المال والقوة الذين هيمنوا على مقدرات الأرض بالباطل.

وهذه الثقافة المادية، وهذا الإعلام المسموم الذي يأتينا كقطع الليل المظلم، يضغط على أفكارنا وثقافتنا، فلا يسمح لنا بالتفكير المستقل. ذلك لأنه يُصدّر لنا فكراً متلاحقاً مزخرفاً، مزوداً بآخر التقنيات وأحدث الخبرات الشيطانية، لغرض أداء مهمته في التأثير فينا، سالباً منا -كما هو طابعه المقيت- كل عقلانية وحقانية، باعتباره مجرد مصالح وأهواء وأفكار منمقة.

ومن خلال الرؤى القرآنية نستطيع رؤية الحياة والنظر إلى مافيها من حوادث ومتغيرات، ومن خلال فرقان ربنا نميز بين الحق والباطل، فقد نستمع الى نشرة خبرية، أو نشاهد برنامجاً تليفزيونياً، أو نفتح صفحة انترنيت، أو نقرأ صحيفة أو كتاباً، ولكن ما يهدينا إلى الحق من ذلك هو العقل الرشيد المؤيد بنور القرآن الكريم وبصائره وهداه وضيائه وموازينه وفرقانه، نظراً الى أن كتاب الله من شأنه ان يعطي القيم الصحيحة، والميزان الحق الذي يطرد ويزهق الباطل، فيعرفنا العدل والحق، ويكرّه لنا الظلم والباطل.

أما الانحراف السلوكي والفساد الأخلاقي، وهو الأصل الثاني الذي ترجع إليه أزماتنا الحضارية والتأريخية، فهو الآخر

لابد من معالجته عبر العودة إلى ما يلقيه علينا كتاب الله تبارك وتعالى من مسؤوليات.

أقول: إن الجيل الصاعد في مجتمعنا المسلم عموماً يتعرض في الوقت الحاضر إلى ابشع المخططات الشيطانية ، ووسائل ذلك هي شبكات نشر الدعارة والمخدرات. ومع شبكات الدعارة تأتي ما تأتي من الامراض الجنسية الفتاكة، التي بدأت تنتشر انتشاراً لم نعهده من قبل، ومع شبكات الدعارة ايضاً يأتي تفكك الأسرة، وانتشار وتصاعد نسبة الطلاق، وهبوط معدلات الزواج، وسوء التربية وتحطيم الإنسان ككائن كريم علماً أن من يخطط لنشر الفساد في المجتمع المسلم يملك من وسائل الإغراء والخداع والمكر... في حين نجد أن الإنسان المستضعف في هذا المجتمع -كأن يكون شاباً في مقتبل العمر- يفتقر إلى الثقافة الرصينة والأرضية الإيمانية الكافية فتراه يتعرض لهذه الهجمة الأخلاقية الشرسة التي تفوق حجم قدرته وتحمله وركائز تصديه ومقاومته، فينهار شيئاً فشيئاً. ولكنه لن ينتهي من هذا الانهيار المخطط له سلفاً، إلاّ ويصاب بالأمراض -كأن تكون هذه الأمراض أمراضاً جنسية- ويبتلى أيضاً بانفصام الشخصية والعجز عن بناء الأسرة السليمة، ويسلب الثقة من الجميع.

ولنا أن نتساءل عن ذنب مثل هكذا إنسان، مزقته أنياب تلكم : الشبكات الشيطانية التي تملك المال والعلاقات والإمكانات المادية المتنوعة، لتسويق ما تصبو إلى نشره. فيا ترى ماذا اعددنا لمقاومة هذه الشبكات، ولتحصين جيلنا

الصاعد دون السقوط في أحضان الرذيلة والانحراف؟ أوَ لسنا مسؤولين عن تحقيق ذلك لأنفسنا ولأولادنا؟

والجواب على ذلك كله ليس سوى كلمة نعم؛ لابد من العودة إلى القرآن الكريم، وأن نعيده ليكون الحاكم المطلق حتى على تفاصيل حياتنا، لأنه الأمان والسلام والمتكأ الذي ينبغي الاعتماد عليه والحبل الذي يُتمسك به. ومن يملك القرآن لن ينهار أمام الدعايات والإغراءات بكافة أنواعها.. إذ الحياة الطيبة الكريمة والمرفهة ليست هذه التي نعيشها مطلقاً، باعتبار أنها نتاج الفكر المنحرف والرغبة الشيطانية، في حين أن كتاب الله يأمرنا بغير ما نراه من ضياع وظلام وموت مموّه.

ثم إلى جانب القرآن هناك سفينة النجاة؛ أعني أهل البيت عليهم الصلاة والسلام، الذين بهم ينطق كتاب الله ويُفسَّر لأنهم -بصراحة بالغة- التجسيد العملي الأكمل للقرآن، فهم والقرآن صنوان كما قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إني تارك فيكم الثقلين؛ ما إن تمسكتم بهما لن تضلوا بعدي؛ كتاب الله وعترتي أهل بيتي، فإنهما لن يفترقا حتى يردا عليَّ الحوض) [٢٠] فمن دون التمسك بأهل البيت عليهم السلام لا يمكن التمسك بالقرآن، ومن دون الاهتداء بهدى أهل البيت عليهم السلام لا يمكن الاهتداء بالقرآن.

❁ ❁ ❁

(٢٠) بحار الانوار، ج٤٧، ص٣٩٩.

القرآن كتاب إنقاذ

﴿وَلَوْ جَعَلْنَٰهُ قُرْءَانًا أَعْجَمِيًّا لَّقَالُوا۟ لَوْلَا فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥٓ ءَا۬عْجَمِىٌّ وَعَرَبِىٌّ ۗ قُلْ هُوَ لِلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ هُدًى وَشِفَآءٌ ۖ وَٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ فِىٓ ءَاذَانِهِمْ وَقْرٌ وَهُوَ عَلَيْهِمْ عَمًى ۚ أُو۟لَٰٓئِكَ يُنَادَوْنَ مِن مَّكَانٍۭ بَعِيدٍ﴾ (٢١)

يفاجأ المرء خلال حياته بمشاكل وصعوبات لم تكن في توقعاته وحساباته، وقد يصطدم ببعض الأزمات التي لا يعرف لها حلاً، فتتحداه بعضها وتقعده. هنالك يكون بمسيس الحاجة إلى بصيرة يتسلح بها لإنقاذ نفسه أو من يهمه أمرهم، ليتوصل إلى طرق الحل وسبل النجاة.

فمن أين تأتيه البصيرة المرجوّة؟

إنها تأتيه من كتاب خالقه الرؤوف الحنّان، ولكن كيف؟!

إن الكثير من الناس يعرفون وجود الهدى والنور والبصائر في القرآن الحكيم، ويعرفون أن حلول مشاكلهم جميعاً بين دفتيه، ولكنهم عند المواجهة يعجزون عن استنباطها أو الاستفادة منها. فيا ترى هل ثمّ طريق ووسيلة لحل هذه الأزمة الخطيرة؟

الجواب: إنما يكون ذلك بالمزيد من تلاوة القرآن، وربما أيضاً يتسنى بحفظ آياته حفظاً جيداً لأنك إذا حفظت آية من الكتاب، وواجهت مشكلة ما فإنها سترتسم أمامك وكأنها إضاءة وإشارة إلى الطريق الصحيح والحل الصائب. وقد وردت أحاديث كثيرة تؤكد أهمية واستحباب حفظ القرآن، منها ما

---

(٢١) فصلت ٤٤.

روي عن علي بن الحسين عليهما السلام: (عليك بالقرآن، فإن الله خلق الجنة بيده لبنة من ذهب ولبنة من فضة، وجعل ملاطها المسك، وترابها الزعفران ، وحصباءها اللؤلؤ، وجعل درجاتها على قدر آيات القرآن فمن قرأ القرآن يقال له: اقرأ وارق، ومن دخل منهم الجنة لم يكن في الجنة أعلى درجة منه، ما خلا النبيون والصديقون) [٢٢] حيث تتمايز الدرجات وتتفاضل المنازل، ويرى الإنسان أن بين درجة وأخرى من درجات الجنة مسيرة خمس مائة عام، او كما الفاصلة بين السماء والأرض فحينما يقرأ آية واحدة يرقأ درجة واحدة، ولك أن تتصور أن لو كنت حافظاً لكل القرآن، فكم درجة ستطويها في مسيرك إلى موقعك في الجنة الأبدية؟

بلى؛ إن قراءة القرآن المستمرة وحفظ آياته، يعتبران من أهم برامج حياة الإنسان، ولا سيما بالنسبة إلى الشبيبة والأشبال والأطفال. وإني لأوصي نفسي وكافة الآباء بالاهتمام بتحفيظ الأولاد آيات القرآن منذ سنينهم المبكرة، وحبذا لو بدأنا معهم من عامهم الثالث، حيث يشرعون في الاستيعاب. فما أحلى وأسمى أن تمتلئ ذاكرتهم بحكمة الله وقرآنه، ليدخروها لأوقات حاجاتهم.

أما الكبار؛ فما عليهم إلاّ أن يرتلوا آيات الذكر الحكيم باستمرار؛ أي في كل وقت وسعهم ذلك، وبالأخص في أوقات الصلاة وعند الفجر، فإن قرآن الفجر كان مشهوداً.

❁ ❁ ❁

---

(٢٢) بحار الانوار، ج٨، ص١٣٣.

القرآن كتاب دعوة وانطلاق

كيف استطاع القرآن الكريم ان يحرك العرب الجاهليين في بدء نزوله ويصنع منهم أمة واحدة لا تغيب عن بلادها الشمس، فكانت أمة عظيمة مقتدرة؟ ولا اتصوّر أن أمة مثيلة لأمة الاسلام قد جاءت أو ستجيء بحجمها وبحجم حضارتها.

وهل نستطيع ونحن دخلنا القرن الواحد والعشرين -حيث مضى على نزول كتاب الله حوالي خمسة عشر قرناً من الزمن -أن نجدد التجربة ونعود إلى تلك الأمجاد؟!

قبل كل شيء؛ لابد من التأكد من أن كتاب الله كتاب دعوة وانطلاق فالقرآن من شأنه أن يخلق في الإنسان قابلية التوسّع والنمو، فقد يصبح الإنسان الواحد لدى التزامه بتعاليم السماء أمة بمفرده، وفقاً لمدى تفجّر طاقاته وإعمال قدرته على العطاء.

يصنع القرآن كل ذلك بطرقٍ شتى منها: أنه يفتح أمام أتباعه آفاقاً فكرية وروحية لا تعد ولا تحصى، حيث يؤكد له أنه قد خُلق ليكون جليس الرب في مقعد صدقٍ، وليكن ضيفه المكرم في جنة عرضها السموات والأرض، وأنه إنما خلق ليكون سعيداً وسيداً وملكاً في الدنيا والآخرة. ومنها؛ أنه يوضح لهم ان أجلهم في الأرض محدود، وأن الفرصة المتاحة لديهم لا تعوّض، وأنه مسؤول عن التوفيق بين وجودهم في الحياة وبين الالتزام بتعاليم السماء، ليحققوا وليثبتوا جدارتهم في أنهم المخلوقين الأرقى من بين سائر المخلوقات.

وهكذا يفجر القرآن طاقات الإنسان حتى يصنع منه سيداً وملكاً في الدنيا والآخرة، ويصنع منه داعيةً إلى تطبيق آياته، وإلى شاهدٍ على عصره، وإلى إنسان متعدد الجوانب والآفاق، مقتدراً على الفتح والفوز.

وما حقق لأصحاب رسول الله صلى الله عليه وآله التقدم والتطور بين الأمم، هو تدبرهم في الآيات القرآنية حتى تفجرت طاقاتهم.

وعلى هذا فإن القرآن كتاب عمل وفاعلية، ودعوة انطلاق ونحن إذا عدنا للقرآن عادت إلينا امجادنا وحضارتنا ومدينتنا وتفوقنا.

❁ ❁ ❁

القرآن أساس النهضة

﴿ إِنَّ هَٰذَا ٱلْقُرْءَانَ يَهْدِى لِلَّتِى هِىَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ ٱلْمُؤْمِنِينَ ٱلَّذِينَ يَعْمَلُونَ ٱلصَّٰلِحَٰتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا ۞ وَأَنَّ ٱلَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِٱلْءَاخِرَةِ أَعْتَدْنَا لَهُمْ عَذَابًا أَلِيمًا ﴾(٢٣)

بماذا نهضت الأمة الإسلامية لدى انطلاقتها الأولى؟ وكيف انهارت عروش الطغاة أمام ذلك المد الجارف؟

لا ريب أن قيادة النبي الأعظم صلى الله عليه وآله كان لها الأثر الكبير جداً في ذلك، بل حتى ان سيرته الشريفة لا يزال

---

(٢٣) الاسراء / ٩-١٠.

يتلمسها المسلمون في الوقت الراهن. فملاحم الإسلام الأولى التي حققتها القيادة النبوية، لا تزال ذات فائدة كبرى بالنسبة للنهضة الإسلامية على مرّ العصور.

ولكن أساس نهضة المسلمين -بما في ذلك قيادة الرسول وحكمته ودرايته وشجاعته- كان قائماً على حكمة القرآن الكريم. فهو الذي يهدي للتي هي أقوم؛ بمعنى أنه يفتح أمام اتباعه ومحبيه الطريق القريب والمباشر والآمن نحو ما يريدون تحقيقه من غايات.

فهذه الآية المتقدمة الذكر من سورة الإسراء نزلت بعد استعراض حالة بني إسرائيل، حيث تناوبت فيهم وعليهم حالات التقدم والتراجع والصعود والهبوط ثم قال ربنا مخاطباً إياهم ومجمل أفراد البشرية: ﴿إِنْ أَحْسَنتُمْ أَحْسَنتُمْ لِأَنفُسِكُمْ﴾ [٢٤]، ثم بعد ذلك جاءت الآية القائلة: ﴿إِنَّ هَٰذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾.

فكيف نحسن لأنفسنا، ونعلوا وننهض بالقرآن الكريم؟

يجد المؤمن بالكتاب المجيد ان فيه خبر من كان قبله، وفيه الحكم والحكمة والقول الفصل، وفيه الحديث عن المستقبل، فيعرف أنه كتاب فتح ونهضة وانطلاق.

فمن قرأ القرآن ليعمل به ويحمل رايته، ويقتحم الصعاب ويتحدى المشاكل ويبلغ الذروة ويحقق الاهداف السامية؛ من قرأه على هذا الاساس وجد فيه بغيته وهدفه، حيث يتبين له

---

(٢٤) الاسراء /٧.

الطريق الصحيح في وضوح مطلق، لأنه حينما يقرأه يجد في نفسه واقعين مثيرين، وهما:

الأول: أنه سيصبح مؤثراً على نفسه، ولو كان به خصاصة وحاجة فهو سيتعرف في كتاب الله على أهداف أوسع بدرجات من أهداف الذات، وسيعرف أن الإيثار قطار التقدم ووسيلة النهضة الإنسانية.

الثاني: أنه سيعيش حالة الأمة الواحدة، والوحدة مع الآخرين؛ لأن الأنسان حينما يحرر نفسه من قيود زنزانتها، سينطلق في رحاب الأمة الواحدة، فتراه يتعلم في هذا الواقع الجديد الصفات المثلى كالحيوية والعطاء والإحسان والحركة الهادفة.

وإنما كان القرآن يهدي للتي هي أقوم، لأنه يبين لأتباعه السنن الإلهية، التي تحرضهم على التطلع والهدفية نحو الخير. إذ أن ما يحويه القرآن من سنن إلهية من قبيل سنة العطاء والشهادة في سبيل الله والوحدة والتعاون على البر والتقوى، وسنّة النظم والعمل الدؤوب على أسس واضحة، وسنة الاستقامة على الطريق.. كل ذلك فيه التحريض على العودة إلى الاصول التاريخية والاجتماعية والإنسانية الصحيحة. ولهذا كانت إرادة النهضة بحاجة إلى قراءة القرآن الكريم قراءة (جديدة).

❁ ❁ ❁

القرآن سبيلنا إلى الرقي

﴿ وَكَذَٰلِكَ جَعَلْنَٰكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُوا۟ شُهَدَآءَ عَلَى ٱلنَّاسِ وَيَكُونَ ٱلرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا ۗ وَمَا جَعَلْنَا ٱلْقِبْلَةَ ٱلَّتِى كُنتَ عَلَيْهَآ إِلَّا لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ ٱلرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَىٰ عَقِبَيْهِ ۚ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلَّا عَلَى ٱلَّذِينَ هَدَى ٱللَّهُ ۗ وَمَا كَانَ ٱللَّهُ لِيُضِيعَ إِيمَٰنَكُمْ ۚ إِنَّ ٱللَّهَ بِٱلنَّاسِ لَرَءُوفٌ رَّحِيمٌ ﴾(٢٥)

لقد جمعت رسالة الإسلام شتات أمة، فصنعت منها الحضارة الأقوى في العالم. فقد كان العرب قبل الإسلام يعيشون في مناطق متناثرة من أرض الجزيرة العربية وأطرافها، فحولهم الرسول الأكرم صلى الله عليه وآله - في مدة قياسية جداً - إلى أمة شاهدة على الناس بالقسط والعدل.

فالقرآن الكريم يفجر في الإنسان طاقاته، ويلملم شتات البشرية تحت راية واحدة، لا سيما وأنه كتاب حيٌ ينبض بالفاعلية والروح إلى يوم القيامة.

فالله سبحانه وتعالى وعد الإنسان بالثواب وتوعّده بالعقاب؛ بمعنى أن الخالق المتعال لم يخلق الإنسان ليفنى، وأنه لم يجعل حدوده في الدنيا، إذ هذه الأخيرة ليست إلاّ وسيلة من وسائل بني البشر، ليرقوا بها إلى ما هو أعلى وأرقى.

وحينما يفتح القرآن مثل هذا الأفق الواسع أمام الإنسان، فإنه يبعث فيه الروح والعزم والإرادة، ثم إنه يدعوه إلى الجهاد، هذه الفريضة المقدسة التي لا تعني القتال فقط، بل هي تعني بذل المزيد من الجهد في كافة مناحي الحياة؛ فهي تعني الإنفاق

---

(٢٥) البقرة/ ١٤٣.

والإحسان والعطاء والتغلب على هوى النفس ووساوس الشيطان. لغرض التحرر من الهوى الشرير وقيود الباطل.

إن المؤمنين -وعبر هذه البصيرة الإلهية- سيعلمون أن أمامهم آفاقاً واسعة وأن عليهم أن يبلغوها، ويعلمون أيضاً أن أجلهم محدود في هذه الدنيا، وبالتالي فإنهم سيضغطون على أنفسهم ما استطاعوا حتى يفجروا طاقاتهم المودعة فيهم من قبل الله فيصلوا إلى معدن الحكمة والتطور ورضا خالقهم عنهم.

إن الصفة الأساسية لاتباع القرآن تكمن في أنهم لا يسمحون لأن تكون أعمارهم ضحية أو هباءً، فتراهم لا يستسلمون للهواجس والوساوس واللهو واللعب وتفاهات الأمور، وهم في تطلع دائم إلى الأسمى والارقى والأحسن من الوجود سواء على صعيد الدنيا أو الآخرة.

إن من الفلاسفة من دعا إلى أن يصنع الإنسان الطبيعة، ولكن كتاب الله دعا إلى أن يصوغ الإنسان نفسه صياغة جديدة، ، وإلى أن يصنع الطبيعة من حوله. وبهذه الدعوة فقد سبق القرآن جميع المذاهب الفلسفية والفكرية والاجتماعية.

أما سبيل العودة إلى التاريط التليد، فليس هناك خيار سوى العودة إلى سبب التقدم والعظمة، وهو القرآن الكريم وما يحويه من بصائر نورانية، فنتفتّح عليها ونستفيد منها ونصوغ أنفسنا كأفراد وشعوب ضمن ما رسمته لنا لكي نكون خير أمة أخرجت للناس، ولكي نكون شاهدين عليهم ؛ أي لنكون المقياس الذي تقاس به الأمم من حولنا كما كان الرسول شهيداً علينا وقدوة ومقياساً لنا.

الفصل الثاني

حقائق قرآنية

حقيقة القرآن

﴿ يَا أَهْلَ الْكِتَابِ قَدْ جَاءَكُمْ رَسُولُنَا يُبَيِّنُ لَكُمْ كَثِيرًا مِمَّا كُنْتُمْ تُخْفُونَ مِنَ الْكِتَابِ وَيَعْفُو عَنْ كَثِيرٍ قَدْ جَاءَكُمْ مِنَ اللَّهِ نُورٌ وَكِتَابٌ مُبِينٌ ۞ يَهْدِي بِهِ اللَّهُ مَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَهُ سُبُلَ السَّلَامِ وَيُخْرِجُهُمْ مِنَ الظُّلُمَاتِ إِلَى النُّورِ بِإِذْنِهِ وَيَهْدِيهِمْ إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ ﴾(٢٦)

كان القرآن روحاً وجسداً؛ وكان روح القرآن الهدى والنور والذكرى، وكان جسده الألفاظ والكتابات المدوّنة على أوراق المصحف أو الصوت الذي يردّده القارئ.

أما الوصول الى جسد القرآن فهو متاح للجميع، بمن فيهم من لا يؤمن بما أنزل الله بدءاً.

ولكن التوصل إلى روح القرآن وضيائه وهداه وذكراه التي أودع الرب العزيز الحكيم، و الى آفاق قول إمامنا الصادق عليه السلام: (لقد تجلى الله لخلقه في كلامه،

---

(٢٦) المائدة /١٥-١٦.

ولكنهم لا يبصرون) [٢٧] إذا أريدَ ذلك، فإن المسألة تختلف تماماً، إذ لابد من سمو الروح - روح الإنسان- لكي تقرأ وتعي روح القرآن فالروح الإنسانية يلزمها التزود بالبصيرة ووسيلة الاكتشاف.

فالله تبارك اسمه يصف كتابه الكريم بأنه نور وكتاب مبين؛ والنور لا ينفع إلا من له بصر، والكتاب لا يقرأه إلا العاقل. فإذا لم تكن للإنسان عين باصرة وعقل سليم، فإنه يعجز عن درك معاني القرآن وفهم محتواه.

ثم إن القرآن حقيقته كتاب، والكتاب يعني الشيء أو الأمر الثابت، وللقرآن ثوابت واضحة ومبينة، تبين الحقائق وتكشف خطوط الحياة وأصولها العامة.

ثم ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ ﴾ أي يهدي الله بالقرآن، ولكن من هو المستعد لتقبل هذه الهداية؟

إنه ﴿مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ﴾ أي اندفع برغبة وحماس وعلم وراء كتاب الله. فقد ترى رجلاً يهدي الناس الطريق، فإنه لا يهتدي إلا من استمع له واتبعه. أما الذي يحجم عن إطاعته، فإنه يضيع فلا يهتدي. كذلك القرآن ﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ ﴾ فبحث عن رضوانه جل جلاله، وأراد أن يرضي ربه، وأن يرضى عنه ربه.

﴿ يَهْدِى بِهِ ٱللَّهُ مَنِ ٱتَّبَعَ رِضْوَٰنَهُۥ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ فهداية الرب الجليل تنتهي إلى الطرق الآمنة، وتحقيق الأهداف السامية في الدنيا والآخرة.

---

(٢٧) بحار الانوار، ج٨٩، ص١٠٧.

فلعل أرقى أمنيات الإنسان السوي هي العيش ضمن حياة طيبة، وأن تكون له ذرية طيبة، وعاقبة طيبة في الآخرة. وهذه الأمنيات الشريفة السامية لا يمكن تصور تحقّقها دون السير في الطرق الآمنة، التي يقول القرآن عنها بأنها ﴿ سُبُلَ ٱلسَّلَٰمِ ﴾ أي طرق الله غير الملتوية.

ومن اتبع وقصد رضوان الرب، ضمن السير في الطرق النزيهة، وكان حقاً على الله أن يخرجه من الظلمات إلى النور؛ الظلمات التي قد تتجسد بالأخلاق السيئة وبالظلم والانانية والعصبية وبالجهل والفساد، والنور هو نور الرحمة والإحسان والكرم.

فهل اطمأنت نفسك إلى هذا الوعد الإلهي المثير وصدّقت بما يريد القرآن لك من سعادة في الدنيا والآخرة؟ بل هل تخيلت -ولو للحظة واحدة- وجودك في أمة نقية من الاخلاق السيئة والظلم والانانية، ملؤها النور والرحمة والكرامة؟!

❁ ❁ ❁

كيف نفهم القرآن؟

﴿ وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۚ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ ۞ بِٱلۡبَيِّنَٰتِ وَٱلزُّبُرِۗ وَأَنزَلۡنَآ إِلَيۡكَ ٱلذِّكۡرَ لِتُبَيِّنَ لِلنَّاسِ مَا نُزِّلَ إِلَيۡهِمۡ وَلَعَلَّهُمۡ يَتَفَكَّرُونَ ﴾ (٢٨)

---

(٢٨) النحل / ٤٣-٤٤.

ما هي الطريقة الصحيحة لتفسير القرآن؟ وكيف نهتدي إلى اللطائف القرآنية التي بينها ربنا في كتابه الكريم؟

والجواب: هو أن الالتزام بأصول التدبر كفيل بكشف حقائق القرآن، كشفاً يناسب كل متدبر. فالقرآن قد يسّر للذكر؛ بمعنى أن الله تعالى بيّنه وفصله وأحكم آياته. وتستطيع أنت كما يستطيع كل قارئ عربي أو محيط بأصول وفقه اللغة العربية أن يستوعب قدراً من القرآن.

فإذا تدبرتَ الآيات، فعليك ألاّ تسترسل مع هوى نفسك، أو تحملها مالا تحتمل. ومن المحظور المؤكد أن تفسر القرآن برأيك الغريب عن الكتاب. فقد روي عن رسول الله صلى الله عليه وآله إنه قال: (ومن فسّر القرآن برأيه فقد افترى على الله الكذب) (٢٩)

فلا تحمل القرآن أفكارك المسبقة، وعليك بالتجرد كلياً من الرواسب الفكرية، إذ ان مائدة القرآن لا يأتيها إلاّ الطاهر النظيف من الأدران الفكرية، والمتجرد عن الثقافات الدخيلة والغريبة هذا اولاً.

والأمر الثاني: إذا صادفك الغموض فلم يتضح لك نص قرآني ما، فاعلم أن التأني والعودة إلى أهل الذكر؛ اولئك الذين استوعبوا القرآن وتذكروا به واستفادوا من آياته، وهم الذين اختصهم الله بقوله العزيز: ﴿ فِي بُيُوتٍ أَذِنَ اللَّهُ أَن تُرْفَعَ وَيُذْكَرَ فِيهَا اسْمُهُ يُسَبِّحُ لَهُ فِيهَا بِالْغُدُوِّ وَالْآصَالِ ۝ رِجَالٌ لَّا تُلْهِيهِمْ

(٢٩) بحار الانوار، ج٣٦، ص٢٢٧.

﴿... تِجَٰرَةٞ وَلَا بَيۡعٌ عَن ذِكۡرِ ٱللَّهِ وَإِقَامِ ٱلصَّلَوٰةِ وَإِيتَآءِ ٱلزَّكَوٰةِ يَخَافُونَ يَوۡمٗا تَتَقَلَّبُ فِيهِ ٱلۡقُلُوبُ وَٱلۡأَبۡصَٰرُ﴾[٣٠] وهم محمد وأهل بيته المعصومين عليهم الصلاة والسلام، ومن يسير على نهجهم القويم ويستوعب القرآن ولم يكن من أهل الهوى أو تلهيه التجارة ويشغله البيع عن ذكر الله وعن معرفته ومعرفة أحكامه؛ إنهم هم الذين يدعونا القرآن الكريم نفسه إليهم بقوله: ﴿وَمَآ أَرۡسَلۡنَا مِن قَبۡلِكَ إِلَّا رِجَالٗا نُّوحِيٓ إِلَيۡهِمۡۖ فَسۡـَٔلُوٓاْ أَهۡلَ ٱلذِّكۡرِ إِن كُنتُمۡ لَا تَعۡلَمُونَ﴾ أي إذا افتقرتم إلى العلم ولم تكونوا ممن يقتحم غمار المجهول بعقله، فحاولوا التوصل إلى القرآن بأهل القرآن، الذين يملكون البصائر والأفكار الصحيحة المبيِّنين للناس ثقافة الرسالة والحلال والحرام.

إذن؛ لا يمكن بحال من الأحوال الاستغناء عن المبيِّن لكتاب الله، وهو النبي ثم أهل بيته الطيبين الطاهرين، تبعاً لما اختصهم الله به من العلم والحكمة، وأنزل فيهم ثناءه المجيد كما أنزل في معانديهم تنديده واستنكاره، حيث قال جل اسمه: ﴿أَمَّنۡ هُوَ قَٰنِتٌ ءَانَآءَ ٱلَّيۡلِ سَاجِدٗا وَقَآئِمٗا يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ وَيَرۡجُواْ رَحۡمَةَ رَبِّهِۦۗ قُلۡ هَلۡ يَسۡتَوِي ٱلَّذِينَ يَعۡلَمُونَ وَٱلَّذِينَ لَا يَعۡلَمُونَۗ إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ أُوْلُواْ ٱلۡأَلۡبَٰبِ﴾[٣١].

❁ ❁ ❁

---

(٣٠) النور /٣٦-٣٧.

(٣١) الزمر/ ٩.

أفلا يتدبرون القرآن؟

﴿ أَفَلَا يَتَدَبَّرُونَ الْقُرْآنَ أَمْ عَلَىٰ قُلُوبٍ أَقْفَالُهَا ﴾ (٣٢)

لقد خلق الله نوراً، ثم قسمه إلى قسمين: فأودع القسم الأول في الإنسان وسمّاه العقل، ثم خلق بالقسم الثاني كتاباً وسمّاه القرآن المجيد.

فالقرآن هو ذلك العقل الذي فصل تفصيلاً من لدن حكيم خبير، وهو الكتاب الذي يسره الله وبرمجه بلغة الإنسان، وأنزله من العليين لكي يفهمه مخلوقه المكرّم، حتى كان التطابق بين العقل والقرآن تطابقاً من شانه إيصال الإنسان إلى الحقيقة.

إذن: فالقرآن هو العقل الظاهر، والعقل هو القرآن الباطن.

من هنا: فإن العقل كلما استضاء بالقرآن كلما أفصح عن نفسه، وكلما تدبر القارئ في آيات الله كلما أعطى الفرصة لعقله بالظهور. فلا يفهم القرآن دون العقل، ولا يمكن للعقل أن يتبلور دون القرآن.

إن الجسر الرابط بين العقل والقرآن، هو عملية التدبر والتفكّر والتأمّل.

وعلى هذا: لا ينبغي لقارئ كتاب الله أن يمرّ عليه مروراً مجرداً، أو يكون همّه الوصول إلى آخر السورة، أو يكون هدفه من القراءة لقلقة اللسان بالحروف والكلمات والمظاهر، بل يجدر به التعمق والوصول إلى ذلك الجوهر المقدّس والنور الوضّاء الذي أودعه الله في كلماته. ولا ينسى القارئ للقرآن أن يضع نصب عينيه الحديث الشريف المروي عن الإمام الصادق عليه السلام،

---

(٣٢) محمد/ ٢٤.

حيث قال: (لقد تجلى الله لخلقه في كلامه، ولكنهم لا يبصرون) (٣٣) ليكون له بمثابة المثير والمحرض نحو التدبر في القرآن.

أما إذا أردنا التعرف إلى الأسباب التي تدفع إلى عدم التدبّر والتأمل في آيات الله، فعلينا أن نقول: إن الشيطان الرجيم يبذل كل جهوده اللعينة، لكي يفكر المرء في كل شيء لدى قراءة القرآن، إلاّ فيما يحتويه القرآن نفسه!! فهو كما يوسوس في القلب حين الصلاة والصيام وسائر العبادات، كذلك يضاعف نشاطه أثناء قراءة كتاب الله. ولهذا فقد أمرنا الله سبحانه بالتعوذ من الشيطان عند كل مرة نقرأ فيها الكتاب الكريم.

وثاني الأسباب: هو الاقفال القلبية المتصوّرة بصور الأفكار المسبقة التي يحملها الإنسان فهي أقفال وحجب تحول دون أن يستقبل القارئ الرؤى القرآنية والبصائر الربانية بذهنية متفتحة ناضجة.

❁ ❁ ❁

القرآن تفصيل لكل شيء

خلق الله تبارك وتعالى الكون وجعل فيه سنن وقوانين، فكان من طبيعة هذه السنن -وفق الإرادة الربانية- ان تتصل بأسماء الله الحسنى.

فقانون معاقبة الظالم والأخذ على يد الطغاة مرتبط باسم من أسماءه تعالى، وهو أنه قائم بالقسط، وأنه منتقم وجبار وعادل. أما قانون الاحسان إلى المحسنين. وأن الإنسان إذا ما

---

(٣٣) بحار الانوار، ج٨٩، ص١٠٧.

عمل عملاً صالحاً فجزاؤه الإحسان، فإنه يرتبط ارتباطاً مباشراً برحمة الله وهو الرحمن الرحيم. وهكذا باقي السنن الأخرى في الحياة، كلها تتصل بأسماء الله الحسنى.

فإذا عرف المخلوق خالقه، وعرف أسماءه الحسنى، استطاع أن يعرف من خلالها سنن الله في الطبيعة والحياة، بمعنى أن قوانين الله جميعاً تجري ضمن حكمة بالغة، وأن الإنسان كلما استطاع تطبيق هذه الحكمة، استطاع أن يتجنب مزالق الحياة وأن يتجاوز عقباتها، وهي ليست بالقليلة كما هو معروف.

إن ربنا سبحانه وتعالى أودع كتابه المجيد معرفته، ومعرفة أسماءه، ومعرفة سننه، ومعرفة البصائر التي ينبغي أن يسير وفقها الإنسان في حياته. فكلما قرأنا القرآن بدقة وإمعان وتدبّر، كلما استطعنا التعرف على الأصول العامة التي تسيّر الحياة.

إن في القرآن الكريم تفصيل كل شيء، لأنه يحوي القواعد العامة للعقل والفهم وبصائر التفكير الأساسية. وهذا لا يعني أن في كتاب الله كل القضايا؛ ففي الآيات الكريمة ليس هناك قول يبين عدد ركعات الصلاة وأحكام شكوكها، أو غير ذلك من التفصيلات التي لا تمثل قانوناً عاماً للإنسان الفرد، أو البشرية جمعاء.

ولنضرب مثلاً قرآنياً على ما نذهب إليه من وجود الأصول العامة للحياة في كتاب الله. فقد جاء قوله تعالى: ﴿وَلَهُنَّ مِثْلُ الَّذِي عَلَيْهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ وذلك في معرض تبيين أحكام العلاقة بين الزوجين، حيث توضح الآية ضرورة أن تتسم هذه العلاقة بالتوازن والعدالة، وعليه ينبغي للزوج أن يعرف بأنه كلما يطالب زوجته بشيء، فإن للزوجة حق مقابل في مطالبته أيضاً. وتحت هذا القانون تنضوي جملة من الأحكام العديدة الجزئية الكفيلة بحفظ توازن العلاقة

الزوجية، وضمان عدم تعرضها للمشاكل والمشاحنات التي غالباً ما تحدث عند الجهل بهذه القاعدة الذهبية المقدسة، أو في حالة عدم التسليم لها والعمل بها.

ثم يقول تعالى: ﴿وَلِلرِّجَالِ عَلَيْهِنَّ دَرَجَةٌ﴾ وهذا نصٌ واضح يعكس أصلاً عاماً يدعى بقيمومة الرجل في المحيط العائلي. ومن هذه العبارة يفهم الفقيه المتمرس جملة من الأحكام قد يتجاوز عددها العشرات بل المئات، وكلها تصب في إطار أن يفهم كلٌ من الزوجين دوره في الأسرة، حيث لا يظلم الرجل المرأة، ولا تتهرب المرأة من طاعة الرجل، بل ثم تكافل وتضامن أُسري.

إن كلمات القرآن كلها قواعد وخطوط عامة، وبيان للسنن الحاكمة في الحياة. ولا يمكن معرفة الحياة دون معرفة السنن. ومعرفة السنن أمر متوقف على معرفة القرآن والتأمل بعقل ناضج في آياته الكريمة.

❁ ❁ ❁

سرّ إعجاز القرآن

﴿وَإِن كُنتُمْ فِي رَيْبٍ مِّمَّا نَزَّلْنَا عَلَىٰ عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِّن مِّثْلِهِ وَادْعُوا شُهَدَاءَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ ۝ فَإِن لَّمْ تَفْعَلُوا وَلَن تَفْعَلُوا فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقُودُهَا النَّاسُ وَالْحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ﴾ (٣٤)

لماذا لم يستطع عرب الجاهلية، وهم في قمة الأدب والفصاحة والبلاغة، أن يقبلوا تحدي القرآن الكريم فيأتوا

---

(٣٤) البقرة/ ٢٣-٢٤.

ولو بسورة تضاهي سوره، علماً أن في كتاب الله سوراً قصيرةً قد لا يزيد بعضها على سطر واحد فقط؟! فما هو سرّ الإعجاز القرآني؟ وما هو سر التحدي الذي أعلنه نبي الإسلام صلى الله عليه وآله للبشرية عبر العصور جميعاً؟!

إن السر وراء ذلك يكمن في الحقائق التالية:

اولاً: أن القرآن الكريم كتاب علم ومعرفة. فالقرآن لا يقول إلاّ حقاً، ولا يقول إلاّ صدقاً؛ فكل كلمة فيه صادقة و﴿ لَا يَأْتِيهِ الْبَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلَا مِنْ خَلْفِهِ تَنْزِيلٌ مِنْ حَكِيمٍ حَمِيدٍ ﴾(٣٥)

فلم يرى الناس حقيقة تأريخية سابقة أو لاحقة تكذب كتاب الله المجيد، وليس هناك قضية قرآنية واحدة من شأن الزمن أن يغيرها. فالحديث عن النجوم والطبيعة والإنسان والزمن وغير ذلك يؤكد علم القرآن وصدقه وحقانيته. ولا غرابة في ذلك أبداً، إذ الحديث هو حديث خالق النجوم والطبيعة والإنسان والزمن. وحديث الخالق حديث خلاّق بدوره، حيث لا يمكن بأي حال من الأحوال أن يتحول إلى حديث عتيق، فيستقر في مستودعات المتاحف كما كان ذلك مصير أحاديث البشر وكتبهم فالقرآن يبقى بين الإنسانية، لا يحدثها بشيء إلاّ وصدّقته تجاربها، فانحنت إليه بالتسليم والتصديق.

وكان من الطبيعي ايضاً ان يعلو علم القرآن وكنوزه على جهل الجاهلية وفقرها، إذ العلم نور والجهل ظلام، ومن شأن النور أن يطرد الظلام، مما أدى الى انصياع الجاهليين لعلم القرآن وجهاد الرسول في مدة زمنية قصيرة جداً.

---

(٣٥) فصلت/ ٤٢.

ثانياً: أن القرآن كله حكمة فهو يمنح البشرية أصول الحياة ولو أنها تمسكت بها لعاشت عيشة راضية في الدنيا، ولتمنّت القرب من الخالق الحكيم عز وجل. والحكمة قد تختص بالطعام والشراب، فتقول كلمة واحدة تحوي جميع أصول هذين الأمرين وهي: ﴿وَكُلُوا وَاشْرَبُوا وَلَا تُسْرِفُوا﴾ وقد تأتي في إطار العلاقات الإجتماعية العامة، فتأمر الناس بنصها القائل: ﴿وَلَا يَجْرِمَنَّكُمْ شَنَآنُ قَوْمٍ عَلَىٰ أَلَّا تَعْدِلُوا اعْدِلُوا هُوَ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَىٰ﴾[٣٦]، حيث توضح أن العدل هو صمام الأمان في طبيعة العلاقات بين أفراد الإنسانية جميعاً. وهكذا الأمر بالنسبة لسائر الحكم القرآنية الخاصة بتبيين أصول الحياة.

ثالثاً: أن كتاب الله عبارة عن نصوص بلاغية تفيض بالإعجاز والتحدي، حتى أن عنوانه واسمه آية في إعجاز التعبير. فإذا اراد كاتب خبير أن يعبّر -مثلاً- عن ضرورة شرعية وإجراء القصاص، فكم سيستغرق من وقت حتى يصل إلى نص قوله سبحانه وتعالى: ﴿وَلَكُمْ فِي الْقِصَاصِ حَيَاةٌ﴾[٣٧] بل إنه من المستحيل أن يصل ابن آدم إلى هذا التعبير، وإن أي تعبير سيضعه قياساً بهذا التعبير القرآني سيكون فاشلاً سلفاً.

وهكذا كان علم القرآن وحكمته وبلاغته وتعبيره الدقيق، آيات إعجازه الأبدية المستحيلة على تصورات الإنسان البليدة.

❁ ❁ ❁

---

(٣٦) المائدة /٨.

(٣٧) البقرة/ ١٧٩.

سرّ خلود القرآن

القرآن كتاب الخلود، فهو يبقى مع الزمن ويتحرك أمامه، بينما الحياة تتطور، والناس يختلفون، والأجيال تخلّف أجيالاً.

والعلة في ذلك هي أن القرآن يحدثنا عن السنن الإلهية الثابتة، ولا يحدثنا عن الأحكام والتشريعات المتغيرة فلا تجد في الكتاب الكريم آية، إلا وتجدها ثابتة دائمة. وحتى أن الحديث عن الأمم السابقة، فهو حديث عن الحياة العامة والتأريط البشري الثابت وما فيه من عبر باقية وسنن إلهية جرت في الماضين وستجري في اللاحقين إلى يوم القيامة، لأنها سنن غير قابلة للتبديل أو التحويل؛ تماماً كما هو أصل وسنّة لبس الثياب الثابتة بغض النظر عما يتغير من اشكال وموضات الثياب وطريقة لبسها، أو كما هو الأصل والسنة في احتياج الإنسان للطعام والشراب رغم تنوعهما أو طريقة تناولهما وتغيرهما بتغير الزمن والأشخاص.

إذن؛ فالسنن الإلهية سنن ثابتة، وكذلك الأمر بالنسبة إلى التشريعات القرآنية، فهي تشريعات ثابتة على الرغم من وجود التفاوت في تفسيراتها وتأويلاتها وتطبيقاتها.

فالقرآن الذي يأمرنا بالالتزام بأصل اقتصادي ثابت وهو الوفاء بالعقود، لا يهتم بالإشارة إلى أي عقد منها، لأنها تختلف باختلاف الزمن. وكذلك حينما يقول: ﴿وَلَا تَأْكُلُوٓاْ أَمْوَٰلَكُم بَيْنَكُم بِٱلْبَٰطِلِ﴾ [(٣٨)] فإنه يأمرنا بالنزاهة والأمانة وعدم الاعتداء على ممتلكات وحقوق الآخرين، وفي الوقت ذاته يأمرنا بأصل آخر نفهمه من الآية. وهو أن يكون التراضي محور العمل

---

(٣٨) البقرة/ ١٨٨.

الاقتصادي والتجاري، ولكنه لم يوضح لنا صفة هذه الأموال أو طبيعة وطريقة التجاوز عليها وهكذا الأمر بالنسبة لسائر الأصول والثوابت التي يحويها الكتاب المجيد.

فالسر الأساس في خلود القرآن واستمراره، أنه لا يزداد مع مرور الزمن وتبدل الأفراد والمجتمعات والحضارات إلاّ نضارة وتألقاً، وبهذه المعجزة القرآنية الخالدة يكون كتاب الله خارجاً وسابقاً للدائرة الزمنية والمكانية.

❁ ❁ ❁

الإحساس الجمالي في القرآن

﴿إِنَّ الْأَبْرَارَ لَفِي نَعِيمٍ * عَلَى الْأَرَائِكِ يَنظُرُونَ * تَعْرِفُ فِي وُجُوهِهِمْ نَضْرَةَ النَّعِيمِ * يُسْقَوْنَ مِن رَّحِيقٍ مَّخْتُومٍ * خِتَامُهُ مِسْكٌ وَفِي ذَٰلِكَ فَلْيَتَنَافَسِ الْمُتَنَافِسُونَ * وَمِزَاجُهُ مِن تَسْنِيمٍ * عَيْنًا يَشْرَبُ بِهَا الْمُقَرَّبُونَ﴾ (٣٩)

إذا تلوت كتاب ربك وجدت في آياته المباركة وصفاً للجنة ما أروعه، وصفاً تشعر فيه إثارة جادة في داخلك معاني الحسن والجمال والزينة وما يأخذ العقول، ووصفاً فيه الدفع نحو حب التحول باتجاه الأفضل، حيث الجنة في الآخرة ورضوان الله الأكبر.

فأنت تستطيع الاقتراب من الجنة وأنت تعيش في الدنيا؛ بمعنى أنك قادر على صناعة الجنة بيديك. فالجنة فيها أنهار تجري، فلا بأس بأن تفكر بأن يجري نهر في بيتك فالماء الرقراق يثير فيك الجمال والزينة والروعة وحب الله سبحانه

---

(٣٩) المطففين /٢٢-٢٨.

وتعالى. وفي الجنة قصور، وفيها رجال مطهرون من الغل، إخوان على سرر متقابلين.

إن في القرآن دعوات صريحة إلى النظر في الطبيعة وكيف أن الخالق المبدع المصور يحيي الأرض بعد موتها، ويامر أيضاً بالنظر إلى النجوم وكيف جعلها زينة في السماء، ثم فيه الدعوة إلى النظر للذات وكيف غرست في النفس الرغبة إلى التمتع بالزينة.

ثم يأمر الله عباده المؤمنين ان ياخذوا زينتهم عند كل مسجد، ليلقوا إخوانهم وهم بأفضل مظهر وكذلك يحرضهم على الاقتباس من كل زينة وروعة، وينهي أولئك الذين حرموا الطيبات على انفسهم.

وقد قال رسول الله صلى الله عليه وآله: (إن الله عز وجل جميل يحب الجمال)[٤٠] وقال الإمام الصادق عليه السلام: (إن الله تعالى يحب الجمال والتجمل ويكره البؤس والتباؤس)[٤١] وبهذا التشريع والإرشاد يسعى الدين الإسلامي إلى جعل إحساس الإنسان المؤمن إحساساً جمالياً، وهذا الإحساس الجمالي يوجه الأفراد والجماعات إلى صناعة محيطهم صنعاً فذاً جديداً. فإذا كان المحيط جميلاً رائعاً، كانت الاخلاق والتقاليد ونوعية الالتزام متأثرة به دون انفصال. ذلك لأن من يكون مظهره جميلاً، فمن الطبيعي أن يكون خلقه جميلاً.

وعلى هذا؛ يجدر بنا أن نوفر في أنفسنا الإحساس بالجمال؛ جمال الروح، وجمال المادة، وجمال الذوق.

---

(٤٠) بحار الانوار ج١٠، ص ٩٢.

(٤١) بحار الانوار، ج٧٣، ص١٧٦.

الفصل الثالث

لفتات قرآنية

ليلة القدر مولد القرآن

﴿حمٓ ۝ وَٱلۡكِتَٰبِ ٱلۡمُبِينِ ۝ إِنَّآ أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ۝ فِيهَا يُفۡرَقُ كُلُّ أَمۡرٍ حَكِيمٍ ۝ أَمۡرٗا مِّنۡ عِندِنَآۚ إِنَّا كُنَّا مُرۡسِلِينَ﴾(٤٢)

كانت ليلة القدر المباركة وما تزال ليلةً لولادة القرآن الكريم، فقد أنزله مرةً ثم أنزله مرات، ولهذه الليلة كل الفخر على سائر الليالي. ولم يكن شهر رمضان ربيع القرآن، إلاّ لأن فيه ليلة القدر، ليلة قال عنها ربنا عز وجل ﴿أَنزَلۡنَٰهُ فِي لَيۡلَةٖ مُّبَٰرَكَةٍۚ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ﴾أي أن فيها تتنزل الملائكة تنزيلاً بالبركة على الإنسانية جمعاء، لأن فيها ولد القرآن: كتاب البركة والرحمة والعطاء والعناية الإلهية. ففي هذه الليلة يبارك الله للناس بالعطاء والرحمة أيضاً، وذلك لشرف القرآن الكريم.

وكان لابد -لدى الحديث عن القرآن- أن نتحدث عمن أُنزل عليه القرآن الا ترى أن ربنا سبحانه وتعالى يحدثنا في سورة الدخان عن الكتاب وعمن أُنزل عليه الكتاب، تبعاً إلى أن رسالة السماء لم تنزل في قراطيس، ولم تنزل كما ينزل المطر، وإنما

---

(٤٢) الدخان/ ١-٥.

نزلت على قلب كبير يستطيع استقبال ملك الوحي جبرائيل عليه السلام والأمانة التي جاء بها دفعةً واحدةً. هذا الاستقبال الأعظم الذي يصفه الله في موقع آخر بقوله: ﴿ لَوْ أَنزَلْنَا هَٰذَا الْقُرْآنَ عَلَىٰ جَبَلٍ لَّرَأَيْتَهُ خَاشِعًا مُّتَصَدِّعًا مِّنْ خَشْيَةِ اللَّهِ ﴾(٤٣)

فكان قلب رسول الله صلى الله عليه وآله أقوى بما لا يوصف من الجبال والأرض والسماوات.

فالله الذي يقول عن نفسه المقدسة واصفاً ﴿ إِنَّا كُنَّا مُنذِرِينَ ﴾ يقول فيما بعد ﴿ إِنَّا كُنَّا مُرْسِلِينَ ﴾ فكان الوعاء متناسباً كل التناسب مع ما يحتوي.

وهنا تتصل ليلة القدر بمبدأ الولاية، لأن القرآن الذي أنزل على قلب الرسول صلى الله عليه وآله كان لابد له من الانتقال إلى قلب آخر مماثل فيما بعد الرسول، وكان لابد من إمام ووصي شرعي مختار من قبل منزل القرآن نفسه. وكما كان الرسول قرآناً ناطقاً يمشي في الأسواق بين الناس، فكذلك كان الإمام رجلاً يحمل صفات الرسول وصفات القرآن ليشهد على الناس بالقرآن ، فكان أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام وهو وليد الكعبة وشهيد المحراب في ليلة القدر أيضاً.

فأين نحن من ليلة القدر؟ وأين نحن من القرآن الناطق؟ وأين نحن من الولاية؛ ولاية الله والرسول والإمام؟

فلتنظر نفس إلى ما قدمت وليعمد كل واحد منا إلى إعادة حساباته، ولينظر المسلم إلى نفسه وطريقة حياته. ومن أجل ذلك علينا بفتح القرآن واعتباره ميزاناً لصحيفة اعمالنا، فقد جاء في الحديث الشريف المروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي

---

(٤٣) الحشر/ ٢١.

طالب عليه السلام، حيث قال: (عباد الله، زنوا انفسكم قبل أن توزنوا، وحاسبوها قبل ان تحاسبوا) [٤٤]

❁ ❁ ❁

فضل القرآن الكريم

﴿وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ۚ مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ وَلَا ٱلْإِيمَٰنُ وَلَٰكِن جَعَلْنَٰهُ نُورًا نَّهْدِى بِهِۦ مَن نَّشَآءُ مِنْ عِبَادِنَا ۚ وَإِنَّكَ لَتَهْدِىٓ إِلَىٰ صِرَٰطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ [٤٥]

ما هو القرآن؟ وما هو فضله؟ وكيف نصل إلى معرفته؟!

إن القرآن كتاب حي، نزل من عند الله الحي القيوم المهيمن عليه، وهو ليس كتاباً كسائر الكتب، إنما فيه ما يحتاج بنو البشر بتوفيق الله الذي أرسل الكتاب فهو الرقيب والشاهد عليه، وهو الذي يقلب القلوب والأبصار، وهو الذي يبعث النور الى الأفئدة ليفهم الناس القرآن.

إنه وحي متصل غير منفصل عن مصدره، إذ لا يزال يتنزّل ولا يزال القلب المؤمن المستضيء بنور الإيمان وضياء الرحمن يتلقاه من منبعه المقدس.

ومن هنا نفهم أن كتاب الله ليس كسائر الكتب، وأن فضله عليها كفضل الله على خلقه. ومن هنا نستوحي فريضة توجهنا إلى البارئ عز وجل حين تلاوتنا لكلام خالقنا، وأن

---

(٤٤) بحار الانوار، ج٤، ص٣١٠.

(٤٥) الشورى/ ٥٢.

نعرف من يخاطبنا. فالذي يحدثنا بوحي كلامه، رقيب وشاهد وبصير ومهيمن.

ولذلك كان من لم يؤمن بالقرآن، أو كان قلبه مليء بالحجب، كحجاب التكبر والحسد والحقد والحرص ممنوعاً من الوصول إلى القرآن بمعانيه، على الرغم من لقلقة لسانه بألفاظه وانتقال ناظريه بين حروفه. فهذا واقع من يعيش مع الحروف والكلمات والأشكال دون المحتوى والحقيقة.

ربنا سبحانه وتعالى يقول حينما يصف كتابه: ﴿ وَكَذَٰلِكَ أَوْحَيْنَآ إِلَيْكَ رُوحًا مِّنْ أَمْرِنَا ﴾، وفي آية أخرى يقول عز وجل: ﴿ وَيَسْـَٔلُونَكَ عَنِ ٱلرُّوحِ ۖ قُلِ ٱلرُّوحُ مِنْ أَمْرِ رَبِّى وَمَآ أُوتِيتُم مِّنَ ٱلْعِلْمِ إِلَّا قَلِيلًا ﴾(٤٦) حينما نقرأ هذه الآيات وتربطها ببعضها عند ذاك تتكشف لقلبك حقائق وآفاقاً جديدة وفضائل فذة من روح القرآن.

ثم الله يخاطب رسوله والإنسان بصورة عامة بقوله المجيد: ﴿مَا كُنتَ تَدْرِى مَا ٱلْكِتَٰبُ ﴾ إذ أن تلك الروح يؤطرها الكتاب، الذي هو نور وضياء، يهدي الله به من يشاء من عباده. فهو ليس لكل الناس، بل هو نور لمن يريد الوصول الى الحقيقة وتطهير قلبه والوصول الى سبيل السلام، حيث صراط الله العزيز الحميد.

❁ ❁ ❁

---

(٤٦) الاسراء/ ٨٥.

حبّ القرآن

﴿الَّذِينَ ءَاتَيْنَٰهُمُ الْكِتَٰبَ يَعْرِفُونَهُۥ كَمَا يَعْرِفُونَ أَبْنَآءَهُمْ وَإِنَّ فَرِيقًا مِّنْهُمْ لَيَكْتُمُونَ الْحَقَّ وَهُمْ يَعْلَمُونَ ۞ الْحَقُّ مِن رَّبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُمْتَرِينَ﴾(٤٧)

يتعامل الفرد المؤمن مع القرآن، كما يتعامل الإنسان السوي مع أبنائه. فهو يعرف القرآن كما يعرف ذريته، ذلك لأنه لا يحب شيئاً أكثر من محبته لأولاده، بل حتى أنه يحبهم أكثر مما يحب نفسه.. والقرآن يضرب للناس الأمثال.

كلما ازداد الحب لله، كلما ازداد الحب لكتابه، وبمقدار ما يتعمق الحب للكتاب تعمقت في النفس آداب الاهتمام به. فإذا قرئ كتاب الرب، استمع له المؤمن وأنصت، وتدبّر وركز في قلبه معانيه الحكيمة، لأنه يحبه.

إن الحب أعلى وأسمى علاقة قد تربط بين الإنسان وما حوله، فهو قد يحترم شيئاً، ولكنه ليس بالضرورة أن يكون قد أحبه. وقد يستفيد من شيء وينتفع به، ولكنه قد لا يحبه. ونحن نرى من يستفيد من سيارته أو بيته أو متاعه، إلاّ أنه لا يحب هذه الأشياء حتماً. أما إذا أحب المرء شيئاً، فإنه ليس سيستفيد منه فقط -بل قد لا يستفيد منه مطلقاً- وإنما سيضحي من اجله بما عنده أيضاً.

ومن هذه الزاوية ترى قلوب المؤمنين الصادقين حال رؤيتهم أو قراءتهم أو استماعهم لكتاب ربهم خاشعة تهفو إليه بلهفة،

---

(٤٧) البقرة/ ١٤٦-١٤٧

وبهذه العلاقة السامية يتعاملون مع القرآن. فهم يعرفون أنه رسالة خالقهم التي أنعم بها عليهم، فيبحثون عن أية وسيلة وطريقة لخدمته ورفع شأنه.

فالتعامل ينبغي ان يكون كالتعامل مع أحب الأشياء، فإذا أردت قراءة آياته المباركة وجب أن تحترمه، فتضعه أمامك، دون أية إشارة أو دلالة على سوء الادب؛ كأن تمدّ رجليك أو تضعه على الأرض، وإنما يلزمك أن تجلس جلسة التلميذ إلى معلمه. ولعمري أن في ذلك لفخر للإنسان أن يتتلمذ على كتاب ربه. فإذا أردت معرفة مدى حبك واحترامك لكتاب الله، فانظر إلى طبيعة أدبك حياله.

❁ ❁ ❁

الانس بالقرآن

حينما يكون الإنسان طموحاً، فإنه يتطلع إلى مصادقة أفضل الأشخاص وأسمى الناس، ولكن المؤمن إلى من يطمح ويتطلّع؟

من الطبيعي أن يكون الجواب بانه يتطلع إلى مصادقة ربه والأنس معه، فالله نعم الصديق ونعم الرفيق الشفيق.

فترى كيف يصادق الإنسان ربه؟

أقول: إنما يصادق كتابه ويأنس بكلامه، حيث يعيش مع القرآن ويعيش القرآن معه. والعيش مع القرآن إنما يتحقق في

البدء في أن يحب الإنسان كتاب ربه، ومن أحب القرآن فقد أحب الله، ذلك لأن كتاب الله بما يحوي من أفكار وروح وقدسية هو الوسيلة الى الله، وهو القائل سبحانه وتعالى: ﴿ يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَابْتَغُوا إِلَيْهِ الْوَسِيلَةَ ﴾(٤٨) وأي وسيلة أفضل وأمتن من كلام الله، ومن رسول الله وأهل بيته الطيبين الطاهرين ، الذين لا يفارقون القرآن، ولا هو يفارقهم.

فمن دون القرآن لا يمكن أن نصل لأهل البيت عليهم السلام، ومن دونهم أيضاً لا يمكن أن نفهم القرآن.

أن باستطاعة كل إنسان أن يأنس إلى ربه ويصادقه، وذلك عبر تكريس المحبة لكلامه والالتزام به. وهذا المستوى من الطموح والتطلع ليس حكراً على أحد في حال من الأحوال، وما على من أراد تحقيق ذلك سوى التقدم بإرادة وعزيمة نحو المصادقة وعقد الميثاق.

❁ ❁ ❁

آداب التعامل مع القرآن

﴿ هُوَ الَّذِي أَنزَلَ عَلَيْكَ الْكِتَابَ مِنْهُ آيَاتٌ مُّحْكَمَاتٌ هُنَّ أُمُّ الْكِتَابِ وَأُخَرُ مُتَشَابِهَاتٌ فَأَمَّا الَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ زَيْغٌ فَيَتَّبِعُونَ مَا تَشَابَهَ مِنْهُ ابْتِغَاءَ الْفِتْنَةِ وَابْتِغَاءَ

---

(٤٨) المائدة ٣٥.

تَأْوِيلِهِۦ ۗ وَمَا يَعْلَمُ تَأْوِيلَهُۥٓ إِلَّا ٱللَّهُ ۗ وَٱلرَّٰسِخُونَ فِى ٱلْعِلْمِ يَقُولُونَ ءَامَنَّا بِهِۦ كُلٌّ مِّنْ عِندِ رَبِّنَا ۗ وَمَا يَذَّكَّرُ إِلَّآ أُو۟لُوا۟ ٱلْأَلْبَٰبِ ﴾ (٤٩)

كيف نتعامل مع القرآن؟

إن الخط العريض في كيفية التعامل مع الذكر الحكيم يكمن في أن تستشعر قلوبنا بأننا أمام كتاب الله وخطابه وحبله الممتد بين السماء والأرض، هنالك تخشع القلوب وتطمئن النفوس ويستعد الإنسان لتلقي الروح والنور والهدى.

وللتعامل مع القرآن هناك ثمة آداب مرجوة، نذكر منها:

أولاً: أن خشوع القلب يظهر على الجوارح. إلى هذا أشارت الرواية، إنه دخل رجل مسجداً فيه رسول الله صلى الله عليه وآله فخفف سجوده دون ما ينبغي ، ودون ما يكون من السجود، فقال رسول الله صلى الله عليه وآله (نقر كنقر الغراب، لو مات على هذا مات على غير دين محمد) (٥٠) وروي ان النبي صلى الله عليه وآله رأى رجلاً يعبث بلحيته في صلاته فقال: (أما أنه لو خشع قلبه لخشعت جوارحه) (٥١)

فالجوارح الظاهرة تعكس حقيقة القلب وشعوره، ولذلك قال ربنا سبحانه وتعالى: ﴿ ذَٰلِكَ وَمَن يُعَظِّمْ شَعَٰٓئِرَ ٱللَّهِ فَإِنَّهَا مِن تَقْوَى ٱلْقُلُوبِ ﴾ (٥٢)

---

(٤٩) آل عمران /٧.

(٥٠) بحار الانوار، ج٨١، ص٢٣٤.

(٥١) بحار الانوار ، ج٨١، ص٢٢٨.

(٥٢) الحج /٣٢.

أي إذا كانت القلوب معمورة بالتقوى، كانت الجوارح خاشعة مطمئنة.

ثانياً: أن نسلّم للقرآن بمعنى أن لا نحاول اقتحامه بأفكارنا وآرائنا وأهوائنا بل الصحيح هو أن نجعل القرآن في المقدمة، ونسلّم بأنه هو القائد المطاع، فنقبل عليه قبول المستسلم لما جاء فيه. اما لو كان هناك نوعاً من التحدي والاستكبار للكتاب، فإنه سيبقى مغلقاً دوننا، إذ أن رمز القرآن ومفتاحه هو التسليم له.

أن الراسخين في العلم شأنهم حينما يقرؤون الآيات الكريمة؛ المحكم منها والمتشابه، أن يسلّموا لها جميعاً، ولا يقولون إلاّ بالمحكم ويعملون به، لأن التسليم للمحكم من الآيات والعمل به يعتبر مقدمة لفتح لغة القرآن عموماً، وكشف المتشابه من الآيات إنما يكون بعد فهم المحكم والرجوع إليه.

ثالثاً: على الإنسان المسلم أن يطمئن إلى أن العمل بآية من آيات الذكر الحكيم يستوجب انكشاف آية اخرى.

وعليه؛ فإن مفتاح فهم القرآن أن يكون مع القرآن، فيستمع إليه ويعمل به. وهكذا تراه يتنقل بين آياته الحكيمة، مستمعاً متفهماً عاملاً.

هذه هي نبذة موجزة من آداب التعامل مع كتاب الله المجيد.

❁ ❁ ❁

ضيافة القرآن

إذا كنت في مكان مبارك أو ليلة مباركة، فلا تنسَ نصيبك من التوجه إلى القرآن الكريم والاستفادة منه فمائدة القرآن مائدة مباركة كريمة، وأنت ضيف عليها.

ولكن هناك أسئلة مهمة جداً تقفز إلى الأذهان، وهي: لماذا يقرأ البعض من الناس كتاب الله، ولكن آياته لا تتجاوز حنجرته، وليس واقع أمره إلاّ كما يقول الحديث الشريف المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله: (كم من قارئ للقرآن والقرآن يلعنه) [٥٣] إنه يقرا الكتاب، ولكنه محجوب عن آياته. بل ماذا نفعل لكي نصل إلى مستوى نتحدث فيه مع القرآن ويتحدث هو معنا، فنستنطقه فينطق بما فيه من آيات باهرات، فنعي بذلك حقيقة الحديث الشريف المروي عن الإمام الصادق عليه السلام، حيث قال: (لقد تجلى الله لخلقه في كلامه ولكنهم لا يبصرون) [٥٤] وكيف نضم انفسنا إلى اولئك الذين يتلون القرآن حق تلاوته، ويعرفونه كما يعرفون أبنائهم؟

وبادئ بدء؛ علينا أن نعي أن الإنسان في بعض أو كثير من الأحيان يفقد مصادر التثقيف، كأن يفقد الكتاب، وقد يفقد من يوجهه من الصالحين المؤمنين ولكننا لا نفقد كتاب الله، فهو موجود وفي متناولنا غير أن أزمتنا الكبرى تكمن في

---

(٥٣) بحار الانوار، ج٨٩، ص١٨٥.

(٥٤) بحار الانوار، ج٨٩، ص١٠٧.

كونتا بعيدين عنه، غير مستفيدين منه، وذلك لحجم الحجب التي تفصل بيننا وبينه.

فترى ما هي تلكم الحجب التي علينا اختراقها حتى نصل إلى نور القرآن الكريم؟

الحجاب الأول: الجهل ؛ فلعل المرء وبإيحاء من إيحاءات الشيطان أو النفس الأمارة بالسوء، أو بتوجيه خاطئ من أحدهم، يظن خطأ بأن القرآن لم ينزل له ليستفيد منه، وأنه قد أنزل للنبي صلى الله عليه وآله ومن عاصره، أو كونه قد أنزل للعلماء فقط. في حين أن القرآن قد أُنزل بلسان عربي مبين، ووجه خطابه للناس أجمعين. علماً أن نوعية الآيات يجب ان تُفهم وتدرك من قبل قارئها، فقد تكون متشابهة لا يتيسر تفسيرها لغير المتخصص، وإذ ذاك لا يسع القراء الآخرين سوى التسليم بها، او طلب سبر أغوارها من قبل العالمين بها. أما الآيات القرآنية المحكمة الواضحة، فبالإمكان الاستفادة منها حسب وعي القارئ لها.

الحجاب الثاني: الغرور والكبر لدى الإنسان؛ فمن يعتاد طريقة معينة يتولد فيه الإصرار على التمسك بها، في حين أن القرآن الكريم يدعو الإنسان إلى التطور والسمو بما يرضي الله.

من هنا يجدر بنا أن نسلّم لآيات الكتاب حينما نقرأها، وأن نعقد العزم على تغيير أنفسنا وفقها وألا نسمح للغرور والتكبر أن يخدعانا بأن التحديث والتغيير يعنيان فشل حياتنا السابقة، بل علينا أن نعرف أن الطريقة السابقة قد تكون

طريقة خاطئة ومنحرفة، فلا يسعنا سوى الإسراع نحو التغيير وتحاشي الإصرار على الأخطاء، مهما كانت نوعيتها.

الحجاب الثالث: اللغة؛ فالقرآن الكريم ذو لغة خاصة به، لأنه كتاب الله، فهي لغة الخالق مع مخلوقه.

صحيح أن لغة القرآن هي اللغة العربية الواضحة، إلاّ أن على القارئ الراغب في التفسير وفهم الآيات أن يعمد إلى الآيات نفسها لتفسر بعضها بعضاً.

هذا من جهة، ومن جهة اخرى عليه أن يسعى إلى اكتشاف إطار الآيات وموضوعها؛ بمعنى ضرورة السعي الى تجاوز الكلمات، والسعي لمعرفة المحتوى فمحاولة ربط الآيات المتتالية في هذه السورة أو تلك، تعتبر خطوة كبيرة تنتهي إلى توضيح المقصود الأول من الآيات بشكل عام.

الحجاب الرابع: الواقع؛ فالقرآن الكريم ينطق عن الواقع الذي يعيشه المرء، وهو كما الشمس تشرق كل يوم إشراقة جديدة وعلى واقع جديد، لذلك ينبغي له أن يحاول تطبيق الآيات القرآنية على حياته المحيطة به. وبالقرآن وحده يستطيع الإنسان أن يميز المؤمن من المنافق، والصديق من العدو، وهكذا تستمر محاولات تطبيق القرآن على الواقع الخارجي، وبذلك يتم رفع الحجب عن القلب والوصول الى معدن النور المضيء لمسيرة الحياة.

❁ ❁ ❁

كيف نورث ذرياتنا القرآن؟

روي عن معاذ أنه قال: سمعت رسول الله صلى الله عليه وآله يقول: (ما من رجل علم ولده القرآن إلا توج الله أبويه يوم القيامة بتاج الملك وكسيا حليتين لم ير الناس مثلهما) (٥٥)

وروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله أنه قال: (من علم ولداً له القرآن قلده قلادة يعجب منها الأولون والآخرون يوم القيامة) (٥٦)

وروي عن أمير المؤمنين علي بن أبي طالب عليه السلام أنه قال: (حق الولد على الوالد أن يحسن اسمه ويحسن أدبه، ويعلمه القرآن) (٥٧)

نحن نعلم علم اليقين أننا جميعاً راحلون، وأن الذي يبقى من بعدنا هو ذرياتنا، ولذلك كنا مسؤولين عنها، وهذه المسؤولية ليست إلاّ أن نخلّف لهم تراثاً مفيداً؛ وأنعم بالقرآن تراثاً، كما جعل إبراهيم الخليل عليه السلام التوحيد تراثاً في عقبه ﴿وَجَعَلَهَا كَلِمَةً بَاقِيَةً فِي عَقِبِهِ لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ﴾ (٥٨).

---

(٥٥) موسوعة الفقه، ج٩٨، ص١٨٧.

(٥٦) ميزان الحكمة، ج٨، ص٧٥.

(٥٧) المصدر السابق.

(٥٨) الزخرف/ ٢٨.

ولكن كيف نتمكن بان نورّث ذرياتنا القرآن؟

والجواب: اننا نتمكن من ذلك عبر الطرق التالية:

١- أن نحبّب القرآن إليهم، ونقربه من نفوسهم بأنواع التقريب والترغيب.

٢- أن نعلّمهم القرآن، حتى لو استدعى ذلك الوقت والمال والجهد الكبير، وبالذات أن نسعى إلى تعليمهم في السنين الأولى من عمرهم.

٣- أن نعلّمهم التدبر في آيات الله، وكيفية الاستفادة منها، وتحويل القرآن في أنظارهم إلى بصيرة وعبرة يكرسونها في حياتهم ويعودون إليها في كل وقت وحين.

٤- أن نشجعهم بتقديم الجوائز والهدايا لهم لحفظ القرآن، فإنهم إذا حفظوه امتزجت بضمائرهم وعقولهم الثقافة القرآنية الأصيلة.

وبهذه الطرق وغيرها نجعل القرآن الكريم مستمراً في أعقابنا، فنضمن عند ذلك سلامتهم واستقامتهم وإيمانهم، ونضمن أيضاً خلاصنا من مساءلة الرب لنا في يوم القيامة، إذ كلما قرأ أولادنا كتاب الله أو استفادوا أو أفادوا منه، كان ذلك لنا حسنات، حتى وإن كنا قد غادرنا الدنيا، فإن من سنّ سنّةً حسنة كان له أجرها وأجر من عمل بها إلى يوم القيامة.

الفصل الرابع

نظرات قرآنية

الانسان كائن كريم

﴿ يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَا إِلَى الْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ الْأَعَزُّ مِنْهَا الْأَذَلَّ وَلِلَّهِ الْعِزَّةُ وَلِرَسُولِهِ وَلِلْمُؤْمِنِينَ وَلَٰكِنَّ الْمُنَافِقِينَ لَا يَعْلَمُونَ ﴾ (٥٩)

لقد قدر الله الحكيم الخبير أن يكون القرآن كتاباً يعيد إلى الإنسان تطلعاته، وان يبعث فيه روح السمو والهدفية.

ولهذا ؛فقد كان القرآن الكريم كتاباً لو تمسك به الإنسان لتطور وتقدم، لأنه الحبل الممدود بين السماء والأرض، فطرف منه بيد الله، ومن تمسك بالطرف الآخر ارتفع وسما.

وحينما يوضح القرآن للإنسان الاهداف العليا والحقيقية، ويامره بالتطلع والتحليق، فإنه يثير فطرته الكامنة نحو التطلع السامي. ولا يخفى أن كل إنسان ومهما كانت ظروفه وأصوله ومستواه يملك هذا التطلع.

فإذا كانت الثقافات البشرية والأنظمة الجاهلية تقتل في الإنسان روحه الوثابة، فإن آيات الذكر الحكيم تعيد إليه ذلك

---

(٥٩) المنافقون /٨.

التطلع من جديد، وتؤكد له بانه مخلوق مكرّم؛ فلابد له من التضحية بكل شيءٍ من أجل المحافظة على هذه الميزة الربانية.

وتتناول آيات سورة (المنافقون) تفاصيل سياسة إثارة الوساوس والأفكار الشيطانية التي كان يعتمدها جمع المنافقين، حيث ﴿يَقُولُونَ لَئِن رَّجَعْنَآ إِلَى ٱلْمَدِينَةِ لَيُخْرِجَنَّ ٱلْأَعَزُّ مِنْهَا ٱلْأَذَلَّ﴾ كما كانوا يزعمون بان العزة تتولد بامتلاك قطعة من الأرض، أو من سبق في الوجود عليها، أو بكثرة القوم والعشيرة، أو بالثروة المادية.

ولكن القرآن الكريم يجيب بكل صراحة: أن العزة لله ولرسوله وللمؤمنين، إلاّ أن المنافقين لا يعلمون ولا يفقهون بأن حقيقة العزة موجودة في ذات الإنسان وليس في الأمور المحيطة به، كالأرض والقوم والثروة المادية.

فإذا عرف المرء قيمة نفسه، وعرف أنه فوق هذه الأمور المادية المؤقتة، استطاع أن يخطو خطوة كبرى نحو النمو، والسمو. فإذا مرّ بجاهل معاند قال سلاماً وإذا مرّ باللغو مرّ مرور الكرام وإذا خيّر بين أمور اختار أرقاها وأفضلها واقربها إلى الله جل جلاله فتراه يعتز بماليديه من فضائل ونعم إلهية، ذلك لأنه أثار في داخله الذات الكريمة التي تفضل الله بها عليه.

وهكذا نجد آيات القرآن تشبع الإنسان وتغمر قلبه وعقله بالعواطف والأفكار السامية والأخلاق الرفيعة.

ان العزة والشرف والكرامة -حسب النظرة القرآنية- صفات إنسانية يستطيع كل فرد أن يثيرها ويركزها في نفسه بقدر اقترابه من مصدرها ووعائها. وهما الخالق العزيز الكريم والقرآن الحكيم.

وإذ ذاك؛ فإننا نوجه الدعوة النصوح إلى المؤمنين لأن يستزيدوا من الفضائل والآداب، لأنه يُفترض فيهم السعي نحو الشرف والكرامة والعزة. وهذه الخصال الحميدة لا يمكن أن تتكرس في البيت أو الثروة أو الحالة القبلية أو العشائرية؛ فالبيت ليس إلا مجموعة مرصوفة من الأحجار، والثروة ليست إلا مالاً متنقلاً، والعشيرة ليست إلا افراداً لهم ما كسبوا ولكم ما كسبتم. والمرء ليس ثيابه ولا أمواله ولا هيكله، بل هو شخصيته على حقيقتها، وهو تقواه واقترابه من ربه.

❁ ❁ ❁

حق الحياة

﴿ وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ إِنَّ قَتْلَهُمْ كَانَ خِطْـًٔا كَبِيرًا ۝ وَلَا تَقْرَبُواْ ٱلزِّنَىٰٓ إِنَّهُۥ كَانَ فَٰحِشَةً وَسَآءَ سَبِيلًا ۝ وَلَا تَقْتُلُواْ ٱلنَّفْسَ ٱلَّتِى حَرَّمَ ٱللَّهُ إِلَّا بِٱلْحَقِّ وَمَن قُتِلَ مَظْلُومًا فَقَدْ جَعَلْنَا لِوَلِيِّهِۦ سُلْطَٰنًا فَلَا يُسْرِف فِّى ٱلْقَتْلِ إِنَّهُۥ كَانَ مَنصُورًا ﴾(٦٠)

الحياة قيمة محترمة في الإسلام، وقد أكد القرآن على أهمية المحافظة على الحياة ابتداءاً من حياة الأولاد والذرية وانتهاءً بحياة الآخرين.

فذات الحياة لها قيمتها المقدسة واحترامها الكبير، ولذلك فإن ﴿مَن قَتَلَ نَفْسًۢا بِغَيْرِ نَفْسٍ أَوْ فَسَادٍ فِى ٱلْأَرْضِ فَكَأَنَّمَا قَتَلَ

---

(٦٠) الاسراء /٣١-٣٣.

﴿ٱلنَّاسَ جَمِيعًا﴾(٦١) لأن هذا القاتل قد أراد إنهاء الوجود، والوجود هو الحياة. ولما أرخص القاتل حياة أحد الأفراد، فكأنما قد أرخص كل حياة.

من هذه الزاوية نهانا ربنا عز وجل عن أن نقتل أولادنا. ولكن هل يمكن تصوّر أن يقتل الإنسان أولاده؟ وكيف؟!

نعم؛ يمكن ان يقتل المرء أولاده حيث تتراكم على نفسه أكداس من الخرافات وأساطير الأولين ووساوس الشيطان، فيبدأ بقتل الأولاد كما كان ذلك سارياً في بعض القبائل العربية الجاهلية، حيث كانت تدس البنات في التراب، فيقول قائلهم. نعمَ الصهر القبر؛ أي أنه يرضى للقبر أن يكون له صهراً، بدلاً عن أن يجهد في تربيتها والإنفاق عليها ثم يزوجها حتى جاء الإسلام منددأ بهذا الواقع الرهيب، حيث قال: ﴿وَإِذَا ٱلْمَوْءُۥدَةُ سُئِلَتْ ۝٨ بِأَيِّ ذَنۢبٍ قُتِلَتْ﴾(٦٢)؟!

بل لقد تعدى الأمر إلى أبعد من هذا، فقد عمدوا الى قتل الذكور من أولادهم بداعي الخوف من الفقر وضنك العيش، يائسين من رحمة الله ورزقه. قال الله تعالى: ﴿وَلَا تَقْتُلُوٓاْ أَوْلَٰدَكُمْ خَشْيَةَ إِمْلَٰقٍ﴾ اي خوفاً وحذراً من الفقر والفاقة ﴿نَّحْنُ نَرْزُقُهُمْ وَإِيَّاكُمْ﴾ فالله وحده مصدر العطاء والرزق، فلا يظنن ظانٌ أنه يعيش بقوته وقدرته.

أما الآن فقد اخذت بعض البلدان والمؤسسات الدولية تعمل وتحرض على تحديد النسل، تحت غطاء قلة المستشفيات الكافية لولادتهم، وشحة المدارس لتعليمهم، وندرة فرص العمل

---

(٦١) المائدة ٣٢.

(٦٢) التكوير/ ٨-٩.

لتشغيلهم، واستفحال النقص في الغذاء لإطعامهم، وهكذا كان من الأفضل -في تصورهم- منعهم من المجيء إلى الحياة.

وللأسف الشديد يمضي العالم في الوقت الراهن قدماً نحو إباحة الإجهاض -وبكافة مبرراته الواهية- وتسويغ عملية قتل الأولاد وهم أجنة في بطون أمهاتهم.

وهنا لنا أن نتساءل عن الفرق بين حق الحياة لطفل قد ولد وبين حق طفل سيولد غداً، مع أن الحياة هي نفس الحياة، سواء كان هذا الطفل جنيناً في بطن أمه أو موجوداً خارج البطن. ولكن لغة المادة والماكنة ووساوس الشيطان قد تحكّما في مجريات عصرنا الراهن!

وهناك نوع آخر من القتل، يتمثل في إشاعة الزنا -والعياذ بالله- فلمّا كان الطفل بحاجة إلى التربية والتنمية وإلى حنان الأبوين، والله تبارك وتعالى قد أمر بالاهتمام الكامل بالأسرة لضمان نمو الأطفال نمواً حسناً، كانت إشاعة الزنا عبارة عن إعلان الحرب الشعواء ضد الطفل والأسرة وكافة بنود مبادئ التربية السليمة والهادفة.

فالزاني أو الزانية لا يفكران بالأنجاب، وإنما يهتمان بإفراغ شهواتهما العاجلة، وبالتالي فإن الطفل المتولد من الزنا سيعاني فيما بعد عُقد الأب من جهة، وسيعاني من جهة اخرى نقص التربية وحنان الأم المنشغلة بتجاوز حجاب العفة والشرف.

وعلى هذا الأساس نهى الإسلام عن الزنا، فقال الله عز وجل: ﴿ وَلَا تَقْرَبُوا الزِّنَىٰ إِنَّهُ كَانَ فَاحِشَةً وَسَاءَ سَبِيلًا ﴾. إذ الطفل سيولد ميتاً وإن كان يسير ضمن الأحياء، فكل شيء فيه مقتول، والقاتل هو الشهوة العاجلة.

وثَمّ شكل آخر للقتل، وهو قتل الناس بعضهم بعضاً، في حين لا يوجد أي سبب من الأسباب يبرر الجرأة على حياة

الآخرين وقتلهم، اللهم إلاّ أن يكون المقتول قد اختار لنفسه الخروج عن إطار ومحتوى الإنسانية ، وهو الواقع الذي عبّر عنه القرآن الكريم بقوله: ﴿ وَلَا تَقْتُلُوا النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ إِلَّا بِالْحَقِّ ﴾.

أما الثقافة الجاهلية، حيث تستولي الديكتاتورية ويسود الظلم وتندلع الحروب الباطلة، فإن النفس الإنسانية المكرمة من قبل خالقها تصبح أرخص من كل رخيص. وهنا أجد نفسي حريصاً كل الحرص على توجيه نصيحتي الخالصة للمسلمين جميعاً، لأن يعرفوا أن الإسلام قد وضع ضوابط شديدة جداً لإباحة القتل، وعليهم أن يحسبوا المرة بعد الأخرى حساباتهم إذا ما وجدوا أنفسهم في صراعات واختلافات لإباحة قتل هذا أو ذاك، ولا ينسوا قول الإمام محمد الباقر عليه السلام، حيث قال: (من أعان على مسلم بشطر كلمة كتب بين عينيه يوم القيامة آيس من رحمة الله) (٦٣)

❁ ❁ ❁

الاعتدال أساس الحياة

﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَى عُنُقِكَ وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَحْسُورًا ۞ إِنَّ رَبَّكَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا ﴾ (٦٤)

(٦٣) بحار الأنوار، ج٧٢، ص١٤٩.

(٦٤) الاسراء/ ٢٩-٣٠.

تعتبر أزمة الإفراط والتفريط أزمة خطيرة جداً، من طبيعتها أن تضيع على الإنسان حياته ، وأن تسلبه السعادة الأخروية الأبدية.

فترى بعض الناس مفرطين في حياتهم في كل شيء؛ فهم يأكلون أكثر مما يشتهون، ويشربون أكثر مما يحتاجون، وينامون النوم الطويل، ويسرفون في حبهم أو بغضهم، ويبذرون في طاقاتهم وإمكانياتهم.

بينما ترى البعض الآخر يقصّرون في كل شيء؛ فلا يأكلون إلا قليلاً، ولا ينامون إلا قصيراً..

وبين هذا وذاك؛ نجد الإسلام يأمر بالقسط والاعتدال، والسير في الحياة ضمن الصراط المستقيم، والمحجّة البيضاء. وقد يعيش المرء حسبما يامره الوحي والعقل ، ووفق ما تأمره خبرته العلمية وتملي عليه تجربته العملية.

والله ربنا يأمرنا بالاعتدال في كل شيء، حتى في عطائنا للآخرين، إذ يلزمنا بمراعاة الجانب الاقتصادي، فيقول: ﴿ وَلَا تَجْعَلْ يَدَكَ مَغْلُولَةً إِلَىٰ عُنُقِكَ ﴾ أي لا تحشر نفسك في شباك الاغلال والقيود، ولا تضطرها إلى الانطواء والانغلاق، حيث تحرّم عليها كل شيء وتمنعها من طيبات ما رزقك الله.

فالإنسان في المجتمع المسلم لا ينبغي له أن يكون مقيداً بقيود إضافية، فيشرّع لنفسه بغير ما أمره خالقه أو ما نهى عنه العقل السليم.

أما أن يكون المسلم في حالة انكماش وانطواء دائم على نفسه، لا يحب الانطلاق والتحرك، ثم الافظع من ذلك أنه ينسب كل ذلك إلى الدين، فيحرم الطيبات عليه وعلى الآخرين ، وكلمة الحرام والممنوع لا تسقط عن لسانه. فعليه والحالة هذي -أن يراجع ويقوّم جملة اعتقاداته الدينية، لا سيما وأن الله تعالى

حينما يصف رسوله الكريم وبعثته الشريفة، يقول: ﴿يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنكَرِ وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالْأَغْلَالَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ﴾(٦٥).

وهو أيضاً يوسع الآفاق امام الناس بقوله الكريم ﴿قُلْ مَنْ حَرَّمَ زِينَةَ اللَّهِ الَّتِي أَخْرَجَ لِعِبَادِهِ وَالطَّيِّبَاتِ مِنَ الرِّزْقِ قُلْ هِيَ لِلَّذِينَ آمَنُوا﴾(٦٦).

فالقرآن المجيد الذي يامرنا بالتحرك في الحياة؛ فنأكل ونشرب ونسافر وننفق... تراه من جهة اخرى ينهانا عن الافراط فيقول: ﴿وَلَا تَبْسُطْهَا كُلَّ الْبَسْطِ فَتَقْعُدَ مَلُومًا مَّحْسُورًا﴾؛ أي لا يصح ولا يجوز العيش حسب العواطف، ولا سيما الارتجالية منها، حيث يخرج المرء من امواله جميعاً -مثلاً- فينسى حقوق نفسه وأولاده وزوجته واقاربه. فلا يصح ان يتصرف وكأنه يعيش لهذه اللحظة، وأن ليس له غد. ان الشرع والعقل يأمران الإنسان بأن يعمل حسب الحاجة بمعنى ضرورة أن تكون تصرفاته مدروسة ومعقولة، وذلك لتحاشي الوقوع في مطبات الندم ، وتحاشي أن تكون حياته في المستقبل جملة من ردود الفعل المعاكسة.

فقضية الأنفاق لابد لها من قيود، إذ من الخطأ الواضح أن ينجي المرء فقيراً ما بإنفاقه كل أمواله، فيتحول هو إلى فقير. وإنما يجدر الاعتقاد بأن الله ﴿يَبْسُطُ الرِّزْقَ لِمَن يَشَاءُ وَيَقْدِرُ إِنَّهُ كَانَ بِعِبَادِهِ خَبِيرًا بَصِيرًا﴾.

فلما كان لزاماً على المؤمن التخلق بأخلاق الله فعليه معرفة ان الرزق بيد الله، وأنه يرزق من يشاء، وأنه يمنع على من يشاء، وأن كل ذلك ضمن خبرة وبصيرة إلهية لاتجارى.

---

(٦٥) الاعراف/ ١٥٧.

(٦٦) الاعراف/ ٣٢.

ومن هنا؛ يتبين أنه لا يكون المؤمن مؤمناً حقاً، ما لم يلتزم بالاعتدال والقسط في الحياة؛ بعواطفها وحبها وبغضها، وبحركة العطاء والمنع... حيث يأخذ الطريق الوسط والمستقيم في مختلف الابعاد، ويتجنب الإفراط والتفريط.

❁ ❁ ❁

القرآن نجاة من الشك

كيف تدخل الشكوك في النفس الإنسانية؟ وكيف يستطيع ابن آدم أن يعيش حياةً بلا شكوك؟

وهل أن عقله عاجز عن استيعاب مجريات الحياة؟ وهل هو -في الواقع- فقير الى أدوات الفهم؟

لقد زوّد الله عز وجل الإنسان بالعقل وبالخيال وبالحواس وبعشرات الوسائل لاستقبال الحقائق، فلماذا الشك إذن؟!

أقول: إنما يدخل الشك والريب إلى الإنسان عبر وساوس الشيطان، وعبر الهوى والانجذاب للمادة والطبيعة، وعبر عدم التركيز والاستعجال في اتخاذ القرارات واصدار الاحكام، وعبر التأثر بأفكار الآخرين والانبهار بها دونما تفحّصٍ أو نقد، وهناك أسباب عديدة اخرى.

أما سبيل العلاج من الشك، فهو اللجوء الى كتاب الله المجيد، فهو علاج الوساوس الشيطانية، والضعف البشري، وداء الانبهار بالفكر الآخر، كما أنه يحرر الانسان من جميع

عوامل الضغط. فحينما نقرأ القرآن بعمق ونستوعب آياته الكريمة، فإننا نزكي أنفسنا ونعلمها ونصلحها، وهنالك نتجاوز حالة الشك والريب، ولذلك يقول ربنا سبحانه وتعالى في سورة البقرة: ﴿ ذَٰلِكَ الْكِتَابُ لَا رَيْبَ فِيهِ هُدًى لِّلْمُتَّقِينَ ﴾ (٦٧).

لأن القرآن الذي أُنزل لمواجهة الريب، قد وضعت فيه القدرة على إزالة عوامل الريب والضعف والانبهار بالآخرين، والأفكار الدخيلة التي يتعرض لها المسلم، فيدعوه إلى التحرر من تقليد الآباء والتقوقع على تقاليدهم، كما يحرره من ضغوط الشهوات، ثم يثير عقله ويضيئه ويضع أمامه المنهج الصحيح للتفكير.

فالله جل جلاله يقول: ﴿ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ۚ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ ۖ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ ﴾(٦٨) فهو يزود الإنسان المسلم ببرنامج عظيم؛ يدعوه إلى إزالة الحجب، وضغوط الشهوة والعقد النفسية في إطار اتباع الحق.

وليُعلم إن الخلاص من الريب، يعني الوصول الى الهدى ومن ثم الوصول الى التقوى، لأن جوهر التقوى هو المعرفة بالله وبالجزاء، وهو الإيمان بالغيب وبالآخرة وبالرسل وبالحق.

وجذوة القول هي: أن اقترابنا من القرآن يعني ابتعادنا عن الشك والريب، لأن القرآن ذاته كتاب لا ريب فيه.

❁ ❁ ❁

---

(٦٧) البقرة/ ٢.

(٦٨) الزمر/ ١٨.

النقد الذاتي؛ بصيرة قرآنية

﴿وَالَّذِينَ اجْتَنَبُوا الطَّاغُوتَ أَن يَعْبُدُوهَا وَأَنَابُوا إِلَى اللَّهِ لَهُمُ الْبُشْرَىٰ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ أُولَٰئِكَ الَّذِينَ هَدَاهُمُ اللَّهُ وَأُولَٰئِكَ هُمْ أُولُو الْأَلْبَابِ﴾ (٦٩)

يتعرض ابن آدم لضغوط كثيرة في حياته، فقد يكون منذ طفولته عرضة للتربية الفاسدة، حيث يتلقى الثقافة الخاطئة، أو يعيش في مجتمع فاسد، فإذا شب وقوى عوده في مثل هذا المحيط، وإذا كبر وأولج في متاهات الحياة، تكون هناك ضغوط اقتصادية -مثلاً- فيجد نفسه عاجزاً عن تأمين معاشه أو ضمان مستقبله -كما يحلو له أن يتصور- إلا بالطرق الملتوية، ومن ثم قد يعيش إعلاماً فاسداً مفسداً؛ وفي مثل هذه الأجواء تتصاعد وتتضاعف احتمالات انحرافه.

فإذا أغلق الإنسان باب التوبة والعودة إلى خالقه، وسدَّ أبواب تصحيح المسيرة أو ما يسميه الأدب الحديث بـ(النقد الذاتي)، فإنه سيكون محكوماً سلفاً بالاسترسال في الطريق الخاطئ، مرحلة بعد مرحلة.

ولكن كلا؛ فالله الرحمن الرحيم والعفوُّ الغفور ليس قد فتح أمام الإنسان باب التوبة فحسب، وإنما دعاه وعلّمه وشجعه ومنحه الوسائل الكافية للتوبة. فهذه الدعوة الإلهية ليست كدعوات الآخرين، حيث غالباً ما تكون دعوات جافةً بخيلة، بل هي دعوة حبيب رحيم غفور.

---

(٦٩) الزمر/ ١٧-١٨.

فكما أن جسمك الذي قد يتعرض للمرض أو الوسط، له ما يعالجه من دواء للعافية وماء للنظافة والتطهير، كذلك الأمر بالنسبة لروحك وفكرك وعملك لهم ما يحييهم ويصحح مسيرتهم.

فقد يمكن للإنسان أن ينحرف -وهذا من طبيعة الخلقة- فهو خلق من ضعف وعجل ، وكان له التعرض للمشاكل والسقوط، ولكن الأهم هو أن يصلح نفسه فيما بعد.

فالقرآن الكريم يبشر التوابين ويدعو الناس -على اختلاف مشاربهم وأسباب انحرافهم- إلى العودة والنهوض والتوبة في كل وقت وحين، كما أنه يدعو المؤمنين بصورة خاصة الى عدم اليأس من رَوْحِ الله، ويخبرهم بأنه لا ييأس من رَوْحِ الله إلا القوم الكافرون، إذ اليأس يعني الموت، أو لنقل إن اليأس هو قتل متعمّد للذات وللفكر. وهذا لعمري ذنب كبير لا يضاهيه إلا الكفر، والشيطان يثير في قلب ابن آدم هذا اليأس.

أن الله تبارك اسمه حينما يامرنا باجتناب الطاغوت في سورة الزمر الكريمة، لا يلبث أن يأمرنا بالتوبة والإنابة إليه، لأن هذا الطاغوت قد ترك أثراً بليغاً وجرحاً عميقاً في روح الإنسان وطريقة تفكيره.

فما على هذا الأخير إلا التصميم على تركه وتجاوز آثاره الأليمة، وهو بهذا الاجتناب إنما يبني لنفسه حياةً جديدة قائمة على أساس التقييم والنقد، حيث يعقّب الله على قوله الأول بآيته المحكمة: (لهم البشرى) -المنيبون التائبون- ﴿ فَبَشِّرْ عِبَادِ ۝ الَّذِينَ يَسْتَمِعُونَ الْقَوْلَ فَيَتَّبِعُونَ أَحْسَنَهُ ﴾: أي أنهم يقبلون

بأرواحهم على عملية النقد الذاتي الصادرة أساساً عن قول القرآن والفطرة، فيستمعونه ويتبعون أحسنه.

وهذا التحول الواقعي ليس إلا مصداقاً حقيقياً للهداية الإلهية لمن كان له قلب أو ألقى السمعَ وهو شهيد.

❁ ❁ ❁

الصبر؛ عبور الى المستقبل

﴿ وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أَئِمَّةً يَهْدُونَ بِأَمْرِنَا لَمَّا صَبَرُوا وَكَانُوا بِآيَاتِنَا يُوقِنُونَ ﴾(٧٠)

بماذا ننمي في أنفسنا صفة الصبر، وكيف نستطيع أن نصمد أمام المشاكل والتحديات؟ وما هي القواعد والأسس القرآنية التي تمنحنا هذه الصفة المثلى؟

إن الإجابة عن هذه التساؤلات تفرض ضرورة تبيين حقيقة أن الصبر يعني تجاوز الحاضر، والنظر إلى المستقبل فكلما كان التركيز على المستقبل وتجاوز الحاضر، كان مستوى الصبر والصمود اكبر فائدة وأعظم تأثيراً.

وبين هذا وذاك، نجد أن من صفات الفرد المؤمن أنه لا يتجاوز الوضع الراهن الذي يعيشه بآلامه ومشاكله، وينظر إلى المستقبل الذي يصنعه بنفسه ويوفقه الله إليه فحسب، وإنما نراه يعيش أفق المستقبل الغيبي؛ أي أنه يكرس اهتمامه بمستقبله في الدار الآخرة، ولذلك فإنه يرجو من الله مالا يرجوه غيره.

---

(٧٠) السجدة/ ٢٤.

وهو إذا ما أصيب بمصيبة قال: ﴿إِنَّا لِلَّهِ وَإِنَّا إِلَيْهِ رَاجِعُونَ﴾ (٧١) لأنه يعلم بأنه سيرجع إلى ربه، وأن كل ما يملك إنما هو بتخويل من المالك الأول، وهو الله عز وجل. فهو مطمئن إلى عودته إلى الله، وإلى أن خالقه يهيمن عليه، وهذا العلم وهذا الأطمئنان يمنحان الفرد المؤمن بصيرة ربانية تجعله ينظر إلى المستقبل على أساس الصبر والاستقامة والتحدي، باعتبار أن إيمانه بعظمة ما أعدّ له في الدار الآخرة لا يمكن أن يقاس بتفاهة المشاكل والصعوبات، فتراه يتلقاها برحابة صدر بالغة.

ألا ترى الإمام الحسين عليه السلام حينما نزلت به المصيبة الكبرى ووجد ابنه الرضيع مذبوحاً بين يديه ، فقد أخذ دم رضيعه الشهيد ونثره إلى السماء قائلاً قولته المقدّسة: (هوّن عليّ ما نزل بي أنه بعين الله) (٧٢) فهو على اعتقاد راسط بأن الله يرى ويكتب ويحفظ شرف وقدسية دم هذا الشهيد الصغير ، مما يهوّن عليه الخطب الأليم.

إذن؛ فالله الذي أمر بالصبر قد مهد الطريق لاحبائه بالالتزام به؛ فبيّن لهم في قرآنه المجيد أن جزاء الصابرين النصر في الدنيا، والشرف في الحياة، وعظيم الجزاء والثواب في الآخرة ، حيث الرضوان والجنان والنعيم المقيم، بما فيه القصور والحور والسعادة المطلقة، الأمر الذي من شأنه تخفيف الآلام وتجاوز العقبات.

فكم من مؤمنة ومؤمن كانوا يعانون الأمرين من العوز والاضطهاد والملاحقة والتعذيب في سجون الطغاة ، ولكن مجرد تذكرهم الدار الآخرة والجنان الخالدة، ومجرد

---

(٧١) البقرة/ ١٥٦.

(٧٢) بحار الانوار، ج٤٥، ص٤٦.

تذكرهم لعذاب الهون الذي ينتظر أعداءهم كانت آلامهم ومصائبهم تخفف عنهم. وقدوتهم في ذلك الإمام موسى بن جعفر الكاظم عليه السلام، حيث كان الطاغية هارون العباسي يدعوه لاعلان طلب العفو حتى يطلق سراحه من غياهب السجون التي مر على وجوده فيها حوالي أربعة عشر سنة بآلامها وفضاعتها، إلا أنه لم يستجب له، وكله أيمان وصمود وتحدي. لأنه يرى بقائه في السجن يقرّبه الى الله تعالى، وهو في ذات الوقت يقرّب هارون العباسي في النار؛ لذا لم يقلل السجن عزيمته، ولم ينقص من همته.

ان هذا هو الصبر، وهذه هي حالة تجاوز الزمن الراهن والعبور إلى الزمن المستقبل الأفضل، إذ المستقبل ليس حكراً على الدنيا فقط، بل إن المستقبل الحقيقي هو في الآخرة، وما الدنيا -بما فيها- إلا محطة عبور.

❁ ❁ ❁

الاستقامة رؤية قرآنية

﴿ فَاسْتَقِمْ كَمَا أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا إِنَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ ۞ وَلَا تَرْكَنُوا إِلَى الَّذِينَ ظَلَمُوا فَتَمَسَّكُمُ النَّارُ وَمَا لَكُم مِّن دُونِ اللَّهِ مِنْ أَوْلِيَاءَ ثُمَّ لَا تُنصَرُونَ ﴾(٧٣)

لكي يحقق الإنسان مشاريعه وطموحاته وتطلعاته الكبرى، فلابد له من التحلّي بالصبر والاستقامة، لأن الله قد

---

(٧٣) هود/ ١١٢-١١٣.

عين لعامل الزمن دوره المهم في هذه الحياة. فلا يستطيع المرء بمجرد أن يفكر ببناء بيت أن يجده ماثلاً أمام ناظريه، والمرأة عاجزة عن إنجاب طفلها بمحض تفكيرها أو رغبتها بالانجاب، ولا يمكن أن يحصد الفلاّح ما زرعه بالأمس القريب.

فالله سبحانه وتعالى حينما خلق السماوات والأرض في ستة أيام، كان قادراً على أن يخلقهن بأقرب من لمح البصر، ولكنه قضى أن يكون للزمن دوره في مخلوقاته؛ اي أن الله اراد للوجود أن يكون قائماً على أساس المنطق والعقل، فجعل الزمن جزءاً من طبيعة هذه الخليقة، باعتبار أنه كان قد حكم عليها من قبل بالولادة والعيش والتحول والفناء والانبعاث.

وعلى هذا فقد كان الزمن جزءاً لا يتجزء من وجودنا ومن ذواتنا وحياتنا، ومن أراد إلغاء الزمن والحصول على النتائج الفورية وأن يتجاوز العقبات ويحرق المراحل من دون صبر وعزم واستقامة وثبات، فإنه لا يخدع إلاّ نفسه، ولن يحصل على شيء قطعاً.

فمن أراد حرق المراحل احترق بها. وهذا الواقع يعبر عن سُنة كونية، ولن تجد لسُنة الله تبديلاً. أما شريعة السماء فقد اعطت الإنسان صبراً واستقامة بلا حدود، سواء على صعيد الدعوة إلى الله، أو في مجال بناء الحضارة على الأرض، أو لدى التوصل إلى أي هدف آخر.

ففي مجال الدعوة إلى الله تجد شيط المرسلين نوحاً عليه السلام قد دعا إلى ربه ألف سنة إلا خمسين عاما، وكان كل

جيل يوصي خلفه بالتباعد عن هذا النبي الكبير وعدم الانصياع لتعاليمه، إلاّ أنه صمد وصبر واستقام.

ولم يكن هذا الشأن مختصاً به وحده، بل كان هذا شأن سائر الأنبياء عليهم الصلاة والسلام. فحينما نقرأ سورة هود المباركة نجد نماذج كثيرة للصبر والاستقامة، وأن جميع هذه النماذج انتهت إلى النصر المؤزر من السماء لاولئك الرجال الربانيين الصامدين.

ومن قوله سبحانه: ﴿ فَٱسْتَقِمْ كَمَآ أُمِرْتَ وَمَن تَابَ مَعَكَ وَلَا تَطْغَوْا ﴾ نعرف أن الاستقامة أمر صعب جداً، حتى لاولئك المؤمنين المحيطين بقيادة الرسالة السماوية. فقد روى التاريخ لنا أن منهم من كان ينهار في بدء المسيرة ثم يعود تائباً ملتحقاً بالمسيرة من جديد. بل ومنهم أيضاً من كان ينكص على عقبيه مولياً شطر الشيطان، والعياذ بالله.

وفي إطار بناء الحضارة، يأمرنا ربنا العلي العظيم بالصبر والاستقامة أيضاً، لأنه حينما يأمرنا بإعمار الأرض نجده يبين لنا في آية أخرى ﴿ فَإِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ۞ إِنَّ مَعَ ٱلْعُسْرِ يُسْرًا ﴾ (٧٤) أي أننا حينما نواجه المشاكل لابد لنا من أن نعرف ونطمئن إلى وجود حلّين أو حلول لكل مشكلة، كما جاء في تفاسير هذه الآية الكريمة.

وفي مجال الحياة الشخصية، يقول ربنا تبارك وتعالى أيضاً: ﴿ وَمَن يَتَّقِ ٱللَّهَ يَجْعَل لَّهُۥ مَخْرَجًا ۞ وَيَرْزُقْهُ مِنْ حَيْثُ لَا يَحْتَسِبُ ﴾ (٧٥) باعتبار كون التقوى تمهد الطريق نحو الفوز والنجاح.

---

(٧٤) الشرح/ ٥-٦.

(٧٥) الطلاق/ ٢-٣.

إن الصبر والاستقامة -كما تشير الآيات والاحاديث - أساس الدين والإيمان، لأنه يعبر عن تمسك وإصرار المؤمن على دينه الحق. وعليه فلم يكن أمراً عبثاً أن يأمرنا القرآن وتأمرنا الاحاديث والروايات بالتحلي بالصبر والاستقامة، إذ بهما يكون المسلم مسلماً، وبهما يتنزل نصر الله على المؤمنين.

❁ ❁ ❁

كيف نحقق الأمن والسلام؟

﴿وَاللَّهُ يَدْعُوا إِلَىٰ دَارِ السَّلَامِ وَيَهْدِي مَن يَشَاءُ إِلَىٰ صِرَاطٍ مُّسْتَقِيمٍ﴾ (٧٦)

الأمن والسلام من التطلعات الكبرى للناس، فكل شخص يولد ويولد معه التطلع إلى الحياة الآمنة والسالمة، وإلى أن يعيش في سلام مع الآخرين ومع البيئة غير أن لنا أن نتساءل عن كيفية تحقيق الأمن والسلام؟

نقول قبل كل شيء: إن الله هو الذي يدعو إلى دار السلام في الدنيا، وإلى دار السلام في الآخرة؛ السلام مع النفس، ومع من حولها من الإخوان والبيئة.

إن السلام بمثابة شجرة، أصلها في القلب وفروعها في الحياة؛ إنه تلك الكلمة الطيبة التي أصلها ثابت وفرعها في السماء، تؤتي أكلها كل حين بإذن ربها. والسلام هو اطمئنان

---

(٧٦) يونس/ ٢٥.

النفس ، وهو النقيض المطلق للحقد والضغينة والعصبية والحمية الجاهلية والتعالي وسائر الصفات سيئة الصيت .

فإذا كان القلب يغمره السلام والأمن ، كانت تصرفات الإنسان وسكناته تعبر عن الارتياح والاطمئنان الذاتي ، فتراه يبحث لنفسه عما يصلحها وينفعها ويدفعها إلى التطور ، هذا أولاً .

أما ثانياً: فإنه سيعاشر مَن حوله من الأقرباء كزوجته وذريته وإخوانه وأصدقائه وكافة أفراد محيطه ، سيعاشرهم بسلامٍ خالٍ من البغي والظلم والتكبر .

وثالثاً: ستراه ينشر بأقواله وأفعاله تفاصيل الأمن والسلام في مجتمعه وبيئته وأرضه وفضائه ، ومع كل النعم التي أسبغها الله سبحانه وتعالى عليه .

فلما كان الله تبارك اسمه هو السلام ، فإن الإنسان حينما يعبد ربه ويحبه ، فإنه سيعيش حالة السلام بأروع صورها ، وذلك عائد إلى أن الله سيسكن قلبه .

وإنها لصورة رائعة أن يتخذ الله عز وجل من قلب المؤمن بيتاً ، فترى هذا العنصر المؤمن يعيش الأمن مع الله ، وخلق الله ، من أرض وسماء وهواء وطبيعة وبشر . وهذه المعيشة الآمنة من شأنها أن تتوسع شيئاً فشيئاً لتشمل القريب والبعيد ، والحي والميت ، حتى تكون علاقاته إيجابية في كل شيء .

وهذا الواقع ليس عجيباً او غريباً على المؤمنين ، ماداموا قد استجابوا لدعوة ربهم إلى صناعة الأمن والسلام ، وتفاعلوا مع الأحكام الشرعية التي هي الأخرى مهمتها تأمين السلام وحالة الأمن .

ولكن العجب العجاب أن يعيش الناس أو قسماً كبيراً منهم في حالة الحرب الدائمة ضد الآخرين، وضد البيئة ، وضد المستقبل أيضاً، وهم لا يحاربون إبان ذلك إلا أنفسهم، إذ يفسدون الأرض التي يقيمون عليها ، والهواء الذي منه يتنفسون، والمستقبل الذي فيه أبناؤهم سيولدون رغم جميع الإنذارات والتحذيرات والنتائج السلبية التي يرون.

❁ ❁ ❁

وآت ذا القربى حقه

﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ وَٱلْمِسْكِينَ وَٱبْنَ ٱلسَّبِيلِ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ۝ إِنَّ ٱلْمُبَذِّرِينَ كَانُوٓا۟ إِخْوَٰنَ ٱلشَّيَٰطِينِ ۖ وَكَانَ ٱلشَّيْطَٰنُ لِرَبِّهِۦ كَفُورًا ۝ وَإِمَّا تُعْرِضَنَّ عَنْهُمُ ٱبْتِغَآءَ رَحْمَةٍ مِّن رَّبِّكَ تَرْجُوهَا فَقُل لَّهُمْ قَوْلًا مَّيْسُورًا ﴾ (٧٧)

الأسرة الكبيرة التي تضم إلى جانب الأب والأم والأولاد الإخوة والأخوات والأعمام والأخوال والعمات والخالات وأولادهم، مثل هذه الأسرة الكبيرة تشكل من وجهة النظر الإسلامية وحدة اجتماعية هامة، وكلما كانت متعاونة متلاحمة، كلما كانت أقدر على مواجهة المصائب والمصاعب، ومواجهة تحديات الحياة عموماً.

فإذا وجدتَ من الأسر المعروفة في المجتمع، أُسرة تحمل معها راية الدين أو راية الاقتصاد أو وجدت أسرة عريقة في

---

(٧٧) الاسراء/ ٢٦-٢٨.

السياسة، فاعلم أن أهم ما في تاريط هذه الأسرة التعاون والتماسك والقدرة على التصدي بروح الجماعة.

ونحن المسلمين قد أوصانا ربنا سبحانه وتعالى بالاهتمام بذوي القربى، حيث قال عز من قائل: ﴿ وَءَاتِ ذَا ٱلْقُرْبَىٰ حَقَّهُۥ ﴾ بمعنى أن يسعى المرء لأن يكون قريباً من ذويه ورحمه، وهذا السعي وهذه القربى من شأنهما أن يمنحاه حقاً مفروضاً من قبل الله تعالى.

فإذا رعى هذا الحق حقّ رعايته، كان قادراً على رسم بصماته على صورة الحياة، وأما إذا لم يبذل جهداً لصيانة هذا الحق، فإنه يكون من المبذرين الذين وصفهم الله بأنهم إخوان الشياطين.

إن القرآن الكريم حينما يصف لنا واقعة، فإنه يبينها لنا من جميع جوانبها، ليكون الإنسان المسلم على بينة من أمره، وليلقي الحجة عليه. فالفرد في المجتمع قد تكون لديه إضافة في حياته، كالوقت والقدرة والمال والجاه وغير ذلك، فإن هو اهتم بأسرته وأقربائه، ثم أولى رعايته المساكين واليتامى والجيران ومن أشبه من ذوي الحقوق، فإنه يكون قد صرف فائض مصرفه السليم، وإلاّ كان مبذّراً.

لذلك نجد القرآن الكريم حينما يأمرنا بإيتاء ذا القربى والمسكين وابن السبيل حقوقهم، ينهي خطابه بالقول: ﴿ وَلَا تُبَذِّرْ تَبْذِيرًا ﴾ أي حينما نحصل على فائض ما، فلا ينبغي لنا صرفه في الطرق غير الشرعية. لاننا إذا لم نسر ضمن الجادة الشرعية، وجهنا الشيطان إلى التبذير وتضييع الطاقات والإمكانيات. والتبذير هو في نفس الوقت تضييع للمال والوقت والحق والفرصة، وهو بالتالي إفساد للحياة.

إن العلة الأساسية في كون المبذرين إخواناً للشياطين، حيث الشيطان لم يكن شكوراً لربه حينما أنعم عليه، فتراه

عوضاً عن أن يستفيد من نعم الله عليه أضاعها من بين يديه ، فلم يستغلها الاستغلال الصحيح ، فكفر بداعي التكبر والغرور .

إذن فإن ابن آدم مدعو قبل كل شيء إلى شكر نعم الله ، وإلى أن يوليها حقها إلى ذوي الحقوق ؛ أي ذوي القربى ، وهم الحلقة الاجتماعية الاولى .

إننا بحاجة ماسة للغاية في مجتمعنا الإسلامي إلى تجمعات أسرية قائمة على أساس الإيمان ، لتكون بمثابة المصدات بوجه أمواج التحلل والتفرقة والتضييع ، هذه الامواج التي تشكل خطراً قاتلاً للمجتمع المسلم فكلما كان تلاحمنا أكثر ، وكان عطاؤنا أوفر لحقوق المحيطين بنا من ذوي القربى والحاجة ، كلما استطعنا صدّ الأمواج الجاهلية الغازية .

❁ ❁ ❁

الإحسان محور العلاقة الأسرية

﴿ وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَـٰنًا ۚ إِمَّا يَبْلُغَنَّ عِندَكَ ٱلْكِبَرَ أَحَدُهُمَآ أَوْ كِلَاهُمَا فَلَا تَقُل لَّهُمَآ أُفٍّ وَلَا تَنْهَرْهُمَا وَقُل لَّهُمَا قَوْلًا كَرِيمًا ۞ وَٱخْفِضْ لَهُمَا جَنَاحَ ٱلذُّلِّ مِنَ ٱلرَّحْمَةِ وَقُل رَّبِّ ٱرْحَمْهُمَا كَمَا رَبَّيَانِى صَغِيرًا ﴾ (٧٨)

نحن في الدنيا كحلقة في سلسلة قبلها حلقات ، وبعدها ستكون حلقات ؛ إنها سلسلة الوجود البشري منذ آدم الأول وحتى قيام الساعة .

---

(٧٨) الاسراء/ ٢٣-٢٤.

فماذا نفعل تجاه آبائنا وأمهاتنا، مع الأخذ بنظر الاعتبار أننا سنكون فيما بعد آباءاً، او امهات؟..

ربنا تبارك وتعالى يؤكد علينا ضرورة وصل وربط هذه العلاقة بين الحلقات البشرية المشار إليها آنفاً، بل ويسمو بها إلى حد يذكرها بعد الإشارة المباشرة إلى أهليته للعبادة وحده فيقول: ﴿وَقَضَىٰ رَبُّكَ أَلَّا تَعْبُدُوٓا۟ إِلَّآ إِيَّاهُ وَبِٱلْوَٰلِدَيْنِ إِحْسَٰنًا﴾.

فإذا كانت العبادة لله، فإن الإحسان للوالدين، ويبقى هذا الاحسان ملازماً للعلاقة بين الولد ووالديه حتى وإن جاهداه على أن يشرك بالله؛ فهو مأمور بعدم إطاعتهما في هذا المجال، وبمعاشرتهما بالمعروف في الوقت نفسه.

إن من الخطأ الفاحش أن يبني المرء علاقته بوالديه على أساس الربح والخسارة، وعلى أساس التفكير النفعي، بل عليه التفكير بأن أمه قد حملته وهناً على وهن، وأن والديه هما الوسيلة التي جاء عبرها إلى الدنيا، ولولاهما لما سنحت له الفرصة في دخول جنان الله الأبدية.

فليس من الصحيح أن يعرف المرء أن أمه قد حملت به وأرضعته خلال ثلاثين شهراً أو أكثر، وأنها قد أعطته من روحها ودمها وطاقتها؛ أن يعرف كل ذلك ويتصوره ثم يفكر بماذا يمكن أن ينتفع بهاحينما يتقدم بها العمر.

إن المنطق والوجدان يدعوان المرء أن يهجر الفكرة النفعية، ويتوجه إلى فكرة الإحسان التي أمرنا الله بها.

فالأب يمثل خلاصة التأريط للأسرة، وخلاصة لتطلعاتها. ولذلك فقد جاء في الحديث الشريف عن أمير المؤمنين علي بن

ابي طالب عليه السلام بأنه قال (رأي الشيخ أحب إليّ من جلد الغلام) [٧٩] لأن الشيخ يختصر التأريخ والتطلعات والتجارب النافعة لابنائه وحفدته، فقد تنقذ تجربة واحدة من تجارب الأسرة أو فرداً من افرادها من الموت الزؤام.

ومن هنا؛ فإن المؤمنين يحتفظون بالعلاقة الإيجابية بين الأجيال، وليسوا ممن يعتقدون بأن كل جيل يجب أن يفكر بنفسه وذاته فقط.

وعلى المرء أن يعرف بأنه إذا قطع علاقته بتأريخه الذي هو أبواه، فإن أولاده سيقطعون علاقتهم به في يوم من الأيام، ولن يجد نفسه إلاّ في دار العجزة أو على قارعة الطريق، لأنه سيصبح -إذ ذاك- كائناً منبوذاً خارجاً عن نطاق الزمن.

وهناك قصة تؤخذ مأخذ الأمثال، تقول: ان أماً أعطت لابنتها مالاً لتشتري لجدتها وعاءً من الخشب، فسألتها: لماذا يا أمي؟ فأجابت الأم: لأن جدتك تكسر الأوعية الخزفية. فذهبت البنت وابتاعت وعاءين. فسألتها الأم عن سبب ذلك، فقالت البنت: لقد اشتريت وعاءين، لأنك ستصبحين جدة عن قريب فتحتاجين للوعاء الخشبي الثاني!!

لقد جاءتنا الثقافة الغربية بأفكار خاطئة؛ أفكار لا تتفق مع ثقافة الرسالة فهم فرطوا عقد الأسرة والتأريخ، فتراهم ينبذون آباءهم وأمهاتهم إلى المراكز الصحية ودور العجزة وما أشبه، حتى يموتوا بغيضهم. ولكنهم يغفلون عن أن الزمن

---

(٧٩) بحار الانوار، ج٧١، ص١٧٨.

سرعان ما سيستدير عليهم، فيفرض عليهم العزلة والهجر كما فعلوا هم بآبائهم وأمهاتهم.

فحريٌ بنا نحن المسلمين الرجوع إلى الدين الإسلامي الحنيف، فنحترم الآباء والأمهات ليكونوا محور علاقتنا الأسرية، ووسيلة لتحقيق تطلعاتنا.

❁ ❁ ❁

الأسس الاقتصادية في القرآن

﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَوْفُوا بِالْعُقُودِ أُحِلَّتْ لَكُم بَهِيمَةُ الْأَنْعَامِ إِلَّا مَا يُتْلَىٰ عَلَيْكُمْ غَيْرَ مُحِلِّي الصَّيْدِ وَأَنتُمْ حُرُمٌ إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ مَا يُرِيدُ﴾[٨٠]

الأسس المتينة التي تعتمد عيها بصائر القرآن في المجال الاقتصادي نجدها في سور وآيات قرآنية عديدة، ومنها سورة المائدة المباركة، وفي آيتها الأولى بالذات؛ هذه السورة التي يمكن تسميتها بسورة الحضارة، وسورة تنظيم الحياة القائمة على أساس عقد الميثاق المشترك بين البشرية.

ففي هذه السورة، وابتداءً من الآية الأولى يبين القرآن الأسس المعتمدة لبصائره الاقتصادية. فالأصل في الرؤية القرآنية أن كل شيء حلال إلاّ ما حرمه الشارع المقدس، إذ الإنسان خلق متحرراً من القيود التي تحول دون انطلاقه وبحثه

---

(٨٠) المائدة/ ١.

عن الرزق واستثمار طاقاته وإمكاناته في سبيل معاشه وتحريك عجلة الحياة، بعيداً عما تفرضه الجاهلية من عقبات كبرى أمام الحركة البشرية وتحول دون تحقيق رفاهها الحقيقي وأمنها الاقتصادي وسعادتها في المعاش.

وجاء الإسلام ورسالات الله جميعاً من اجل تحطيم هذه القيود والاغلال، لتفتح أمام الإنسان الآفاق الرحبة للتحرك والبحث عن الرزق.

والآية الكريمة المشار إليها تقرر أن الناس أحرار في عقد معاملاتهم فيما بينهم ، وذلك بما يتضمن تكريس التعاون والاستفادة من طاقاتهم وتنشيط فاعلياتهم وتنمية مواهبهم، وكذلك لتحقيق أهدافهم وتطلعاتهم.

بلى ؛ إن هناك حدوداً شرعية يفترض على الإنسان الالتزام بها، لأنها لا تعود إلا بالنفع وتحقيق مصلحته ، من حيث يعلم أو لا يعلم، إذ ان الله يرزقه من حيث يحتسب ومن حيث لا يحتسب.

وهذه الحدود في واقعها حدود مصالح الآخرين. فالإنسان حرٌ في البحث عن مصالحه، كإعمار الأرض أو استخراج المعادن وإبرام العقود. ولكن حريته هذه لها حود متعلقة بمصالح الآخرين، إذ ليس من حريته أن يبغي عليهم أو يدوس على حرياتهم. ولذلك قال سبحانه وتعالى ﴿أَوْفُوا بِالْعُقُودِ﴾ أي أن الوفاء بما أبرم الإنسان من عقد اقتصادي يضمن عدم تضييعه لحقوق ومصالح من تعاقد معهم.

ويشرع الله للانسان حلّيّة الاستفادة من الانعام باستثناء ظروف وحالات معينة، كأن يكون اللحم حراماً من حيث

تذكيته أو غصبيته، أو كون الإنسان محرماً في أيام وأرض الحج، إذ المفروض أن تعيش في تلك البقعة المباركة وفي تلك الأيام جميع مخلوقات الله دون استثناء حالة الأمن والسلم.

وهكذا يتضح أن الاقتصاد الإسلامي قائم على تشريع الحرية والتعاون واحترام حقوق الآخرين ومصالحهم.

❁ ❁ ❁

القواعد السياسية في القرآن

﴿ وَالَّذِينَ اسْتَجَابُوا لِرَبِّهِمْ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ وَأَمْرُهُمْ شُورَىٰ بَيْنَهُمْ وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ ﴾ (٨١)

إذا استنطقنا آيات القرآن الكريم عن قواعد السياسة في الإسلام، لأجابتنا بانها لا تخرج عن ثلاث قواعد أساسية، وهي التالية:

القاعدة الأولى: ولاية الله التي من شأنها جعل الناس يعتصمون بها، وتحول دون دخولهم في ولاية الشيطان، وتنفي الطاغوت من حياتهم، وتخلصهم وتحررهم من الجبت.

فولاية الله شرف الإنسان، لأنها تعني أن الخالق عز وجل لم يغلّ يده ولم يكل الناس إلى أنفسهم. فهو قد شرّفهم وكرّمهم بأن جعل هذه الولاية بمثابة سفينة النجاة وحبل الاعتصام لهم،

---

(٨١) الشورى/ ٣٨.

فإذا اعتصموا به استطاعوا التعالي على كل صعوبة في حياتهم.

ولا يخفى أن ولاية الله تعني ولاية الرسول والأئمة والصالحين من عباده الذين يمثلون ذات الخط الإلهي، وهي تعني ولاية العدل والزهد والتقوى والفضيلة والإيثار والفقه.

ولما كانت ولاية الله الركيزة الأولى ، فهي تنسجم أيضاً مع التشريع الصحيح النازل من السماء، فلا احد له الحق في التشريع غيره، بل المشرع الأوحد للإنسان، هو خالق الإنسان لأنه هو الرب المعبود دون سواه.

القاعدة الثانية: الشورى في الحكم الداخلة في إطار ولاية الله سبحانه وتعالى، وتبعاً لهذا أصبح لزاماً على المؤمنين أن يديروا شؤونهم بالفكر الجمعي؛ بمعنى اجتماعهم على تبادل ما يفهمونه من الأفكار القرآنية فيستفيدون من عقولهم المتنوعة ، على ان يشارك الواحد منهم الآخرين في عقولهم وعلومهم. وبهذه القاعدة يمكن تركيز الخبرة، وترشيد الحكمة، وتكريس الجهود، والاقتراب من العدل.

القاعدة الثالثة: وجوب الدفاع عن النفس ومقاومة البغي، حيث نجد الله سبحانه وتعالى يامرنا في آيات كريمة من سورة الشورى بهذه القواعد الثلاث. فالمجتمع المؤمن حينما يملك جوهرة لا تثمن ، وهي جوهرة ولاية الله وجوهرة الشورى، لابد له من الدفاع عما يملك بكل شجاعة وحزم وصمود.

❁ ❁ ❁

البشرى والانذار في القرآن

﴿كِتَٰبٌ فُصِّلَتْ ءَايَٰتُهُۥ قُرْءَانًا عَرَبِيًّا لِّقَوْمٍ يَعْلَمُونَ ۝ بَشِيرًا وَنَذِيرًا فَأَعْرَضَ أَكْثَرُهُمْ فَهُمْ لَا يَسْمَعُونَ﴾ (٨٢)

بمجرد أن ينفتح الإنسان المسلم على القرآن المجيد، فإن قلبه ينغمر بنوره، فإذا به يتفاعل معه ويعمل به ويشهد عليه؛ أي يكون شاهداً على تطبيقه بين الناس، نظراً إلى ان القرآن كتاب علم وحكم، وكتاب شرائع ومناهج، كتاب يحمل في طياته أدوات تنفيذه. فهو ينذر بعقاب الله، ويبين خلال آياته ألوان العقاب الذي قد أعدّ لمن لم يطبّقه وأعرض عنه بداعي التكبر عليه والابتعاد عنه، وهو -في الوقت ذاته- كتاب يحوي ألوان البشارة بالجنة والرضوان لمن طبقه ونفذ أوامره وعمل بوصاياه بداعي التقوى ونية الاقتراب إلى الخالق الجليل.

إذن؛ فالقرآن يحمل في داخله أدوات تنفيذه، ولكننا نرى -مع كل ذلك- من يقرأ كتاب الله فلا يطبقه، ونرى أيضاً من هو مصداق لنص الحديث الشريف المروي عن رسول الله صلى الله عليه وآله حيث يقول: (رُبَّ تالٍ للقرآن والقرآن يلعنه) (٨٣)

إن السبب في ذلك هو أن هذه الشريحة من القرّاء يحجبون عقولهم وأنفسهم عن آيات الذكر الحكيم، فهم يقرؤون الألفاظ ولا يتعمقون في المعاني؛ فلا ينفذون إلى الحكمة والبصيرة، فتراهم ينصرفون عن معاني الآيات، لأنها تحجبهم بنورها.

---

(٨٢) فصلت/ ٣-٤.

(٨٣) بحار الانوار، ج٨٩، ص١٨٤.

أما الذين يحملون في داخلهم قلوباً طاهرة، والذين يقول عنهم ربنا تبارك وتعالى: ﴿ لَّا يَمَسُّهُۥٓ إِلَّا ٱلْمُطَهَّرُونَ ﴾[٨٤] أي أولئك الذين طهر الله قلوبهم بالإيمان والتقوى والتزكية، فهم حينما يقرؤون الكتاب الكريم؛ يقرؤونه بطريقة أخرى، فإذا بلغوا آية فيها ذكر للعقاب قرؤوها مخاطبين أنفسهم، بها حيث تمر على أذهانهم جميع صور العذاب الإلهي الأليم، وكأنهم يتعرضون له قبل غيرهم، أو كأنهم هم المعنيون بها دون غيرهم وإذا قرؤوا آية فيها ذكر الثواب والبشارة، مرت على خواطرهم صور الجنة والرضوان، حيث يكون المؤمن في الدار الآخرة عند مليك مقتدر، فيبشرون أنفسهم بها، ويصممون على حيازة الجنة الخالدة والرضوان الإلهي الكريم، فتراهم يسعون ويجتهدون حتى يصبحوا ممن تنالهم رحمة ربهم وفضله، وأعظم بهما من رحمة وفضل.

❁ ❁ ❁

بين الجنة والنار

﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ۝ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ۝ كُلًّا نُّمِدُّ هَـٰٓؤُلَآءِ وَهَـٰٓؤُلَآءِ مِنْ عَطَآءِ رَبِّكَ ۚ وَمَا كَانَ عَطَآءُ رَبِّكَ مَحْظُورًا ﴾[٨٥]

---

(٨٤) الواقعة/ ٧٩.

(٨٥) الاسراء /١٨-٢٠.

الدنيا تحوي فريقين فريق الجنة وفريق النار.

ولكن هل أن الله سبحانه وتعالى خلق الفريق الأول، وكتب له دخول الجنة منذ اليوم الأول؟ وهل الأمر كذلك بالنسبة لأصحاب النار؟

الجواب ليس إلاّ النفي القاطع إذ أن الدنيا عبارة عن خليط من النور والنار، ومن الخير والشر، ومن الفضيلة والرذيلة، وما على ابن آدم سوى الاختيار والانتخاب.

ففي بداية الحياة حيث يختلط الهوى بالعقل، والجهل بالعلم، والشهوة بالإرادة، لا يعرف الإنسان كيف ينتخب. ولكن هذه المعاذير تسقط بمرور الزمن، وبتقدم الإنسان في العمر، فلا يعذر بحال من الأحوال أن يبقى جاهلاً أو متردّداً، بل لا مناص له من انتخاب أحد الطريقين.

فمن اختار طريق الجنة اضطر إلى أن يسعى لها سعيها، فأصبح مؤمناً صالحاً، فيكتب الله له السعادة الأبدية. ومن اختار الطريق الآخر وأعرض عن طريق الجنة، خلد إلى الهاوية.

إن الجنة بحاجة إلى سعي حثيث وجهد متواصل، أما النار فيكفي للسقوط فيها مجرد استرسال المرء في شهواته.

إذن؛ فالناس هنا في هذه الحياة الدنيا يكتبون على أنفسهم أحد المصيرين، وربنا سبحانه وتعالى يبين هذه الحقيقة بوضوح بالغ في سورة الإسراء المباركة، حيث يقول: ﴿مَّن كَانَ يُرِيدُ ٱلْعَاجِلَةَ﴾ أي أن مَن اختار الدنيا العاجلة بزخارفها ومظاهرها من طعام وشراب ومسكن وزينة وأهواء ﴿عَجَّلْنَا لَهُۥ فِيهَا مَا نَشَآءُ لِمَن نُّرِيدُ﴾ فإن الله يعطيه. ولكن بما يريد هو لا ما يريده مخلوقه الآثم هذا، إذ ليس كل من أراد الدنيا حصل عليها بما تمنى.

﴿ ثُمَّ جَعَلْنَا لَهُۥ جَهَنَّمَ ﴾ ففي مقابل هذه الدنيا التي منح، تكون جهنم مأواه الأخير ﴿ يَصْلَىٰهَا مَذْمُومًا مَّدْحُورًا ﴾، حيث العنت والألم الدائم. ولا يمكن تصور احتمال تعوده عليهما، بل تبقى الهزيمة الساحقة تلاحقه في كل لحظة من لحظات وجوده في النار، ويبقى الإحساس بالعذاب المهين هو المستولي الدائم عليه، فلا أحد ينصره أو ينفعه من دون الله.

ولكن من أراد الجنة وسعى لها سعيها، استعدّ لدفع الثمن، ذلك لأن الجنة حُفّت بالمكاره والصعاب، فبذل من التضحية والصبر والاستقامة على ما أمر به ما وسعه. فالمجاهد يطلب الجنة ويبذل دمه ثمناً لهذا الطلب، والشاب الصابر على شهواته والكاف عن الاسترسال معها فإنه يدفع ثمن الجنة بصبره هذا.

﴿ وَمَنْ أَرَادَ ٱلْـَٔاخِرَةَ وَسَعَىٰ لَهَا سَعْيَهَا وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَأُو۟لَـٰٓئِكَ كَانَ سَعْيُهُم مَّشْكُورًا ﴾ فبقدر ما عملوا حصلوا على النتائج المرضية.

❁ ❁ ❁

استعداداً ليوم القيامة

﴿ وَكُلَّ إِنسَـٰنٍ أَلْزَمْنَـٰهُ طَـٰٓئِرَهُۥ فِى عُنُقِهِۦ ۖ وَنُخْرِجُ لَهُۥ يَوْمَ ٱلْقِيَـٰمَةِ كِتَـٰبًا يَلْقَىٰهُ مَنشُورًا ۝ ٱقْرَأْ كِتَـٰبَكَ كَفَىٰ بِنَفْسِكَ ٱلْيَوْمَ عَلَيْكَ حَسِيبًا ﴾ (٨٦)

ماذا لو أوتيت في يوم القيامة كتاباً فيه إحصاء لكل ما فعلته؛ كتاباً لا يغادر صغيرة أو كبيرة إلا أحصاها؟ وماذا لو

---

(٨٦) الاسراء /١٣-١٤.

وجدت أعمالك حاضرة، وعرفت أن أنفاسك ولحظات عينيك ووساوس قلبك وخواطر فكرك كلها قد أحصيت إحصاءً دقيقاً، وقدمت إليك باعتبارها صحيفة أعمالك، وعليها يتعلق مصيرك؟

من الطبيعي أنك ستندم في ذلك اليوم -والعياذ بالله- وإن كنت صالحاً في الحياة الدنيا!!

وذلك لأن من أسماء يوم القيامة هو يوم الحسرة ؛ إذ تأخذ المنافق والفاجر والكافر الحسرات، ويعض الظالم على يديه، ويقول الكافر ياليتني كنت تراباً. أما الإنسان المؤمن فهو الآخر يعض أصابع الندم ويقول متحسَراً: لو كنتُ أعرف بأن حساب يوم القيامة على هذه الدرجة من الدقة، وعلى هذا المستوى من العقاب والثواب، لكنت استزدت من فعل الخيرات والصالحات.

ترى ما هي حقيقة هذا الكتاب؟!

ربما كان في يوم من الأيام صعباً على العقول الضيقة والنفوس الضعيفة أن تعتقد بهذه المقولة القرآنية، حيث تجمع اعمال الإنسان كلها في كتاب أو صحيفة واحدة. أما اليوم فقد أثبت التطور العلمي الالكتروني أن من السهل جداً جمع هذا الكم الهائل من المعلومات في قرص مدمّج واحد، ولعل المستقبل سيشهد تضييق المساحة بصورة أعقد لحشد المعلومات ؛ لا سيما وأن كل شيء قد أصبح محتملاً ومعقولاً ، بل إن العلم الحديث قد اكتشف بأن خلية واحدة تحوي من

المعلومات عن جسم الإنسان بمقدار مكتبة تضم الملايين من الكتب.

إن خارطة الأعمال كلها ستظهر للعيان، حيث يقول سبحانه وتعالى واصفاً محكمة يوم القيامة: ﴿يَوْمَ تُبْلَى ٱلسَّرَآئِرُ﴾ (٨٧) أي أن خفايا النفس ستظهر هي الأخرى، فضلاً عن تجسّد الأعمال ، حيث يتحول الكذب إلى ريح نتنة تتأذى منها الملائكة ، وحيث يتحول أكل مال اليتامى ناراً، وحيث يتحول الظلم إلى ظلمات بعضها فوق بعض.

فالإنسان مسؤول على أن يعي هذه الحقائق، وأن يعد العدّة المناسبة لما يمكن أن يقع فيه في يوم القيامة.

فالكائن البشري ليس شأنه كشأن باقي الأحياء وجدت لتعيش دونما مستقبل ، بل هو مخلوق بكرامة فينبغي له أن يعيش بكرامة ، ويموت بكرامة، ويبعث ويحاسب ويدخل الجنة بكرامة، ذلك لأنه منذ اللحظة الأولى لوجوده كان ضيفاً لدى خالقه الكريم، فلينظر كيف يلتزم بأدب الضيافة هذه.

---

(٨٧) الطارق/٩.

الفهرس

◆ الفصل الثالث لفتات قرآنية

◆ الفصل الرابع نظرات قرآنية